الحَسَنُ والحُسَيْنُ

سيّدَا شَبَاب الجَنَّة

فتحى فوزى عبد المعطى الصيرى

جميع الحقوق محفوظة

الطبعه الثانية للناشر

١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م

بطاقة الفهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة
لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

عبد المعطى، فتحى فوزى
الحسن والحسين سيدا شباب الجنة/ تأليف فتحى فوزى عبد المعطى
.-ط١.- القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٦م.
٢٠٠ صفحة؛ ١٤×٢٠سم.
تدمك ٤ ٧٠٧ ٢٦٥ ٩٧٧
١- أهل بيت الرسول
أ- العنوان

٢٣٩,٨

رقم الإيداع: ٢٠٠٦/٥٨٦٩

الترقيم الدولى: I.S.B.N
977 - 265 - 707 - 4

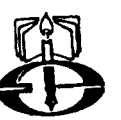

دار التوزيع والنشر الإسلامية

مصر- القاهرة -السيدة زينب ص. ب ١٦٣٦
٢٥١ ش بورسعيد ت: ٢٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٢٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة، ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٢٩١١٩٦١

www.eldaawa.com
email:info@eldaawa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، خير داع للحق بدين الإيمان والسلام..

وبعد..

فهذا الكتاب.. دراسة لحياة الحَسَن والحُسيْن.. إنهما سيدا شباب أهل الجنة، وحَفِيدَا رسول الله وريْحَانَتَاه.

اثنان كريمان من آل بيت رسول الله الكريم.

فأبوهما على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم: هاشمى قرشى.. وهو أحد المبشرين بالجنة، وأمهما فاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم: هاشمية قرشية، هى إحدى سيدات نساء الجنة، فهما غصنان من شجرة واحدة.. أصلها ثابت، وفرعها فى السماء.

غُصنان غرسا فى مغرس واحد، وارتويا من نبع واحد، وشاركا رسول الله طرفًا من حياته، فكانا اثنين فى مدرسة الرسول ﷺ التى أقامها على الحق والإيمان والتقوى، وقُدِّر لهما أن يعيشا مرحلة طويلة فى حياة الأمة الإسلامية.

إن تاريخ حياة الحسن والحسين يمثل مرحلة من مراحل تاريخ ضحى الدولة الإسلامية، عصفت الأحداث بها حينًا، ثم استقامت.

على أنى -وأنا أكتب قصة هذين الرجلين- كان علىَّ أن ألتزم بعدة التزامات منها:

١- ربط مراحل حياة الحسن والحسين منذ مولدهما إلى وفاتهما بالأحداث التى عاشاها، وما صاحب هذه الأحداث من تطورات، وتغييرات فى الخريطة السياسية للدولة الإسلامية، خلال عهد الرسول والخلفاء الراشدين وبنى أمية.

٢- تفنيد آراء بعض الرّواة السابقين ومن شايعهم من المحدثين والمستشرقين الذين زعموا آراء بعيدة عن الصواب والحقيقة فى حياة الحسن والحسين.

٣- تعريف القارئ بالأماكن، وترجمة بعض الشخصيات التى ورد ذكرها خلال الأحداث، لإلقاء الضوء عليها وتوضيحها.

٤-اهل السنه والجماعة هم من أشد الناس حبا لاهل البيت عليهم الصلاة والسلام وقد اذنت لدار الأل والصحب بطباعة كتابي وتوزيع في المملكة العربيه السعوديه

والله ولى التوفيق

فتحى فوزى عبد المعطى الصيرى

أحاديث نبوية عن الحَسَن والحُسَيْن

* قال رسول الله ﷺ:

- «من أحبَّ الحسن والحسيْن، فقد أحبَّنى، ومن أبْغضهما أبْغضنى»(١).

- «الحسن والحسيْن سيدا شباب أهل الجنة، وأبواهما خير منهما»(٢).

* نظر رسول الله ﷺ إلى الحسن والحسيْن وعلىّ وفاطمة، وقال لهم: «أنا حرب على من حاربتم، وسِلْم على من سالمتم»(٣).

* عن عائشة وأم سلمة أنَّ الرسول ذات يوم، اشتمل الحسن الحسين، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى، فأذهب عنهم الرِّجْس، وطهرهم تطهيرا»(٤).

* وكان الرسول ﷺ يقول عن الحسن والحسيْن: «اللهم إنى أحبُّهما، وأحب من يحبهما»(٥).

* وكان الرسول يقول: «هذان ابناى من أحبَّهما فقد أحبنى»(٦).

---

(١) رواه أحمد ٢/٢٨٨، وابن ماجة فى المقدمة ١٤٣، وسنن النسائى ٨١٦٨.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير ٢٦١١/٣.

(٣) رواه أحمد ٢/٤٤٢، وابن ماجة ١٤٠، والطبرانى ٢٦٢١.

(٤) رواه مسلم ٢٤٢٤/٦١، والطبرانى ٢٦١١/٣.

(٥) رواه البخارى ٢٢/٢، ومسلم فى فضائل الصحابة ٢٤٢١/٥٧، وأحمد ٢/٣٣١.

(٦) رواه النسائى فى فضائل الصحابة ٦٧، والطبرانى ٢٦٢٤.

* وقال الرسول عن الحسن: «**إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يُصلح به بين فئتيْن من المسلمين**»(١).

* عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: إن رسول الله أخذ بيد حسن وحسين، وقال: «**من أحبنى وأحب هذيْن وأباهما وأمّهما، كان معى فى الجنة**»(٢).

****

(١) رواه البخارى ٢/ ٣٠٦.

(٢) مسند أحمد ١/ ٧٧، وسنن الترمذى ٣٧٣٤.

أولاً:

الحسن بن علي

سيد شباب الجنة وريحانة رسول الله ﷺ

الباب الأول

الحسن فى عهد الرسول ﷺ

مولد الحسن

سبحان الله العظيم الخالق الباري الذي اذا اراد شيء يسر اسبابه

مضت الشمس إلى مغربها خلف الأفق البعيد، تجمع شتات أشعتها الغاربة، وهى تودع العالم.. فما هى إلا سويعة، أو بعضها، حتى اتسع ضوء القمر، فملأ صفحة السماء، وغطى المدينة المنورة.. جبالها وسهولها، ووهادها ونجادها بضوء فضى، يوحى للناس بالأمن والأمان فى عاصمة الرسول ﷺ وما حولها.

كانت الليلة هى ليلة الخامس عشر من شهر رمضان سنة ٣هـ حيث بدا قرص القمر مكتمل البهاء، يطل على العالم، متلألئًا ضوؤه من علياء السماء، فينير المدينة المنورة، ويمنح أهلها صفاء الوجود، ويهديهم إلى فضل الله ونعمائه، فتشرق نفوسهم بالأمانى الحلوة الصافية.

لم يعد علىّ بن أبى طالب[1] إلى داره.. وزوجه فاطمة الزهراء[2] بنت رسول الله تنتظره، فقد شغله والرسول والمسلمين تلك الأنباء التى وفدت من مكة إلى المدينة المنورة عن استعداد قريش وحلفائهم لمهاجمة المدينة، ومواجهة المسلمين، للثأر لقتلاهم، وهزيمتهم فى بدر، فقد كان علىّ بن أبى طالب أحد القادة العظام.. بطلاً من أبطال المسلمين.. له

(١) هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم.. أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

(٢) هى فاطمة بنت رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وأمها خديجة بنت خويلد أولى أمهات المؤمنين.

مكانته وحكمته وشجاعته التى يعـرفها عنه الجميع، حتى أولئك النفر من قريش الذين تعاملوا معه، وكفـاه فخرًا أنه نام فى فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة إلى المدينة المنورة.

وطال انتظار فاطمة لأوبة زوجها الحبـيب، وعودة أبيها الذى اعتاد كل يوم أن يعودها، ليطمئن عليها، ويدعو لها.

أسرعت فـاطمة إلى مصـلاها.. تناشد ربهـا، وتدعوه، فأحـسّت كأن سلسبيلاً من الهواء يريح صدرها، وينعش فؤادها، ويملأ نفسها أمنًا وسكينة.

فبينما هى كـذلك.. شعرت بعلامات المخاض تهز جـسدها، كان قد اقترب موعد خروج جنينها إلى الحياة، فيا لها من فرحة تسرى فى كيانها، سعادة وأملاً.

جلست فاطمة على فراش عـرسها.. قطعة من حصير، عليـها حشية من ليف، وما تدرى بنفسها وقد ألم بهـا خاطر.. أعاد إليها صورة مريم ابنة عمـران، وهى تضع ابنها عـيسى، تلك الصورة الـتى رسمهـا القرآن الكريم فى آيات من سورة نزلت على أبيها.. ذكرى لها «سورة مريم».

وتذكرت فاطمـة ما أفاء الله على مريم من نعم، وهى فـى وحدتها مما أعاد إليها الأمن، وخفف عنها وحدتها.

مضت على فاطمة السويعات بطيئة، وهى تعالج ما فى نفسها من آلام المخاض، لولا ثقتـها فى ربها، وقوة احتمـالها، والآمال الحلوة التى ترنو إليها بعقلها فى وليدها.

***

كان الليل قد انتصف، أو كاد، حين أقبل علىّ بن أبى طالب فى لهفة للقاء زوجه الحبيبة، فراعه منها ما بدا على وجهها من صور كانت جديدة عليه، وقد اخضلَّت عيناها بالدموع، تنبئ عما تعانيه من جهد المخاض، فأسرع، واستدعى لها القابلة لتساعدها، فأقبلت القابلة إليها تسعى على عجل، تسبقها لهفتها على بنت رسول الله، ولسانها لا يكف عن الدعاء لها بكلمات تطمئنها، وتريح خاطرها.

فما هى إلا ساعة أو بعضها، حتى خرجت القابلة تُبشِّر عليًا بمولد ولد له، فعلت الفرحة وجهى على وفاطمة.

أقبل الرسول يسعى إلى دار ابنته فاطمة، فبارك لها سلامتها، وقد فاضت به الفرحة، وهو يهتف بمن حوله:

- (أرونى ابنى).

أخذ الرسول حفيده فى حنان بالغ.. يضمه إلى صدره، ويُقبِّله فى عطف أبوى، وأذَّن[1] فى أذنيه، ليبعد عنه الشيطان.

ثم اتجه الرسول إلى علىّ، وقال له:

- (ما سميتموه؟).

قال علىّ، وهو ينظر إلى ولده حينًا، وإلى الرسول حينًا آخر، وقد غلبت عليه الفرحة:

---

(١) فى حديث لرسول الله ﷺ أنه قال: «ما من مولود يولد، إلا والشيطان يمسه، فيستهل صارخًا من الشيطان إلا مريم وابنها» رواه البخارى ٤٥٤٨.

- يا رسول الله.. ما كنت لأسبقك باسمه، وإن كنت أحب أن أسميه (حربًا)[١].

قال رسول الله لعليّ:

- بل سمِّه حسنًا.

فنظر عليّ إلى ولده، وقال:

- فهو الحسن.

كانت لحظات سعيدة عاشها الرسول، وهو يحمل حفيده بين يديه، وابتسامات الشكر لله تملأ وجهى فاطمة وعليّ، وبينما هو يهم بالانصراف.. قال لهما:

- بارك الله لكما فى الموهوب، واشكرا الواهب، ورزقكما الله برَّه.

(١) كره الرسول اسم (حرب)؛ لأن فيه دلالة على الحروب والصراع والنزاع، كان هذا الاسم معروفًا فى الجاهلية، وكان هذا الاختيار توصية للمسلمين بحسن اختيار أسماء أبنائهم.

الحسن مع رسول الله ﷺ

كانت أم الفضل[١] أول من أرضعت الحسن.. سعيدة بما حقق الله لها من هذا الفضل أن ترضع[٢] حفيد رسوله.

بعد أيام.. حلق الرسول للحسن شعره، ووزنَه، ووزَّع بوزنه فضة على الفقراء، وعقَّ عن الحسن، تقربًا إلى الله، وإطعامًا للفقراء والمساكين، وإعلانًا عن الشكر لله على ما وهب.

***

(١) هى: أم الفضل.. لبابة الكبرى بنت الحارث، الهلالية المضرية.. زوجة العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وهى أخت ميمونة بنت الحارث.. إحدى زوجات رسول الله ﷺ، وإحدى أمهات المسلمين، ولأم الفضل هذه أختان من الأم هما: أسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبى طالب، ومن بعده أبى بكر الصديق، ثم علىّ بن أبى طالب بعد وفاة فاطمة، وسلمى بنت عميس التى كانت زوج حمزة بن عبد المطلب.
كانت أم الفضل من السابقات إلى الإسلام، فهى ثانية نساء المسلمات بعد خديجة بنت خويلد. وكان لأم الفضل موقف مع أبى لهب، فقد ضربته بقضيب، فشجَّت رأسه دفاعًا عن زوجها العباس، ومما يروى عن أم الفضل أنها يوم حجة الوداع، اشتكى المسلمون من الظمأ، فأرسلت إلى رسول الله قدحًا من لبن، فشرب منه الرسول وبعض المسلمين، فكان هذا دليلاً على عدم صيام الحجاج فى يوم عرفات (الإصابة ج٤ ص٦٤٧).

(٢) مما يروى أن أم الفضل رأت ذات ليلة حلمًا: كأن عضوًا من أعضاء رسول الله ﷺ فى بيتها أو (فى حجرها)، فلما ذكرت ذلك لرسول الله، قال لها: «تلد فاطمة غلامًا، وترضعينه مع قثم (قثم هو أحد أبناء العباس من أم الفضل)» (الإصابة ج٤ ص٦٤).

سارت الأيام بالحسن كما شاءها الله، وبما أسعد أبويه ورسوله، وأهل المدينة، وكانت سعادة الرسول أكبر من الناس جميعًا، فقد كان الحسن أول مولود فى بيت النبوة، وكأنما وجد الرسول ﷺ فى مولده عوضًا له عن ولديه القاسم وعبد الله، اللذين اختطفهما الموت طفلين، قبل أن ينعم بهما وأمهما خديجة، ومواساة وسلوى للرسول، فلم يكن قد مضى على وفاة ابنته رقية[1] كثير.

ولعل فاطمة وهى فى سعادتها بابنها، تذكرت أمها الحبيبة الغالية خديجة، ليت أيام حياتها طالت، لتشاركها فرحتها بمولد الحسن.

وشاركت السيدة عائشة الجميع سعادتهم وفرحتهم بالحسن، فقد أحست فى مولد الحسن أملاً أشرقت به نفس رسول الله ﷺ.

كانت دار علىّ وفاطمة قريبة من دار رسول الله ﷺ، فاعتاد الرسول أن يرى حفيده، ويطمئن عليه، ويقبله، ويدعو له، وهو يكبر، ويشتد عوده على مدى الأيام، بين ظهرانى أبويه وحب جده، وكل من حوله.

***

تتابعت الأحداث فى المدينة المنورة..

(١) رقية زوج عثمان بن عفان إحدى بنات رسول الله، كانت مخطوبة قبل البعثة المحمدية لعتبة بن أبى لهب، ثم تزوجت من عثمان بن عفان، وهاجرت معه إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، مرضت قبل معركة بدر، فسمح الرسول ﷺ لعثمان بالبقاء بجوارها لرعايتها، لكن الموت أعجل برقية، بينما كان البشير ينادى فى المدينة إعلانًا لانتصار المسلمين على قريش فى معركة بدر الكبرى. (الإصابة ج٤ ص٤٠٣، وطبقات ابن سعد ج١٠ ص٤٦).

فما هى إلا أيام.. حتى التقى المسلمون مع قريش وحلفائهم فى معركة أحد[١].

كان على بن أبى طالب فى هذه المعركة بطلاً.. بارز طلحة بن أبى طلحة الذى كان يحمل لواء قريش، وبادره بطعنة فلقت هامته، خرّ طلحة قتيلاً، فارتفعت تكبيرات المسلمين، إعلانًا عن بدء المعركة.

ترى؟! هل كان علىّ فى شجاعته.. تتراءى أمام عينيه صورة ولده الحسن، فتزيده قوة وشجاعة على شجاعته؟ إن عليًا بما أداه من بطولات كان يدافع عن دينه، ومستقبل ابنه.. وحينما قُتِلَ مصعب بن عمير، حامل لواء المسلمين، قبض علىّ على اللواء، ورفعه، ليزداد المسلمون ثباتًا ويقينًا.

كان النصر للمسلمين فى أول المعركة، وولى الأعداء فرارًا، لولا أن رماة السهام، وحراس الرسول، تركوا أماكنهم، وانصرفوا إلى جمع الأسلاب والغنائم من قريش المنهزمين، فالتفّ خالد بن الوليد بجيشه حول المسلمين، وهاجموا الرسول فى موقعه. هنا كان لعلىّ بن أبى طالب دور كبير فى المحافظة على حياة رسول الله ﷺ.

ثم كانت انتصارات المسلمين على اليهود فى غزوة بنى النضير[٢]، فى هذه الغزوة.. كان علىّ بن أبى طالب حاملاً لواء المسلمين، وأبلى بلاءً حسنًا.

***

(١) كانت معركة أحد فى شهر شوال سنة ٣هـ أى بعد مولد الحسن بثمانية عشر يومًا.

(٢) كان حصار المسلمين لبنى النضير فى شهر ربيع الأول سنة ٤هـ أى بعد مولد الحسن ببضعة شهور، كان سببه نقض اليهود عهودهم مع الرسول، ومحاولة قتله، فحاصرهم المسلمون خمسة عشر يومًا، واضطروهم إلى مغادرة المدينة.

قبل أن يدور الفلك دورته، كان قد مضى أحد عشر شهرًا على مولد الحسن، وهو يعيش فى رحاب أبويه، وعطف جده رسول الله ﷺ، يشب، ويترعرع، ويقوى عوده.. كانت دار علىّ وفاطمة تبشر بمولد مولودهما الثانى.

ففى أوائل شهر شعبان سنة ٤هـ، وضعت فاطمة طفلاً، أسماه الرسول حسينًا، فلقى الحسين من الترحيب والسعادة به ما لقيه أخوه الحسن، وكان الرسول ﷺ سعيدًا بحفيديه.. يرى فيهما آمالاً كبارًا، ويشكر لله فضله، ما وهب ابنته من عطاء..

زهرتان فى بستان واحد، يرتويان من نبع واحد، يسعد بأريج عطرهما كل من يقبل نحوهما.. ينعمان فى الحياة بنعمة والديهما، وعطف ورعاية كل من حولهما.

وإذا كان الحسن والحسين قد كبرا، فقد وضحت ملامح كل منهما، وبدا الحسن أكثر شبهًا برسول الله ﷺ.

واعتاد الرسول ﷺ أن يذهب إلى دار ابنته فاطمة، ليطمئن عليها وعلى ولديها، فقد كان يطيب له أن يلاعبهما ويضاحكهما، ولا يتركهما إلا وقد علت البسمة وجهيهما. كثيرًا ما كان الحسن يعلو عاتق رسول الله ﷺ.. جده.. سعيدًا، فإذا لقى الرسول بعض أصحابه، قال لهم فى سعادة:

- (إنه ابنى، أحبه، وأحب من يحبه).

***

تنطق صفحات التاريخ بما كان يحظى به الحسن والحسين من مظاهر حب جدهما رسول الله ووالديهما، والمسلمين.

ذات يوم.. بينما كان الرسول ﷺ يلاعب ويُقبِّل حفيده الحسن فى عطف ومودَّة.. رآه رجل اسمه عُيَيْنَة بن بدر، فقال له:

- يا رسول الله.. كيف تُقَبِّل طفلاً، حتى لو كان حفيدك؟ وأنا لى عشرة من البنين، ما قبَّلت منهم واحدًا.

فقال الرسول ﷺ للرجل مستنكرًا:

- أرأيت إن كان الله قد نزع الرحمة من قلبك؟!

ثم صعد رسول الله المنبر، وأخذ يَعِظ الناس، ويوصيهم بأولادهم، ويحثهم على العطف عليهم، والبرِّ بهم، ومداعبتهم، وكأنما شاء الرسول ﷺ بكلماته أن ينظر الناس إلى أبنائهم كما ينظرون فى مشرق النهار، دون مغرب الشمس، ليشعروا بسعادة الأبوة، وأن من حق أبنائهم عليهم أن يضفوا عليهم أشعة الرحمة.

***

كثيرًا ما صاحب الحسن جده رسول الله ﷺ إلى المسجد، يلازمه فى صلاته وسجوده وركوعه..

ذات يوم..

ازدحم المسجد بالمصلين، وأقبل رسول الله ﷺ بصحبة الحسن، أجلس الرسول ﷺ حفيده على مقربة منه، وبدأ الرسول صلاته.. قرأ وركع،

فما كاد يسجد، حتى اعتلى الحسن عاتق رسول الله فى حالة تنبئ لمن يراه عن مقدار ما يشعر به الصبى من سعادة، وهو فوق عاتق جده، وعلى ظهره، فأطال الرسول ﷺ سجوده أكثر مما عهدوه، فلما انتهى من الصلاة، قال أحد الحاضرين:

- يا رسول الله.. لقد أطلت سجودك، حتى ظننا أن أمرًا وقع لك، أو أن وحيًا يوحى إليك.

ابتسم الرسول ﷺ فى وجه الرجل، وهو ينظر إلى الحسن، وقال:

- «**إن ابنى هذا ارتحلنى، فكرهت أن أعجله، حتى يقضى حاجته**»(١).

يا لروعة الأبوة التى حبا الله بها رسوله، فأسبغها على كل من حوله.. رحمة وحبًا وسلامًا. هو

***

تذكر صفحات التاريخ أن الحسن ذات يوم كان حاضرًا مجلس رسول الله ﷺ فجاء رجل بصدقة من تمر، ووزعها على الفقراء، فأسرع الحسن (ولم يكن يدرك أن الصدقة محرمة على النبى وآله)، فأخذ تمرة من تمر الصدقة، ودفعها إلى فمه، ولاكها، فما كاد الرسول يراه، حتى أسرع إليه، وانتزع التمرة بلعابه من فمه، وقال له:

- «**ألقها، فإنها لا تحل لرسول الله، ولا لأحد من آل بيته**»(٢).

***

(١) رواه أحمد والنسائى.

(٢) مسند أحمد ٣/ ١٠٧.

ذات يوم..

كان المسجد النبوى مزدحمًا بروّاده من المسلمين، والرسول يخطب فوق المنبر، فأقبل الحسن والحسين، وعليهما قميصان أحمران، يتعثران فى خطواتهما..

هنالك.. نزل الرسول ﷺ من على المنبر، وحمل الحسن والحسين بين يديه، وصعد بهما المنبر، وأجلسهما بجانبه، وقال للناس:

- «**أيها الناس..** ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ [الأنفال: ٢٨].. **رأيت هذين الصبيَّين، فلم أصبر**»(١).

***

ذات يوم..

خرج الرسول ﷺ يحمل الحسن على عاتقه، فلقيهما رجل، فنظر إلى الحسن، وقال له:

- يا غلام.. نِعْمَ المركب ركبت.

فابتسم الرسول ﷺ فى وجه الرجل، وقال له:

- «**ونِعْمَ الراكب هو**»(٢).

***

(١) البداية والنهاية ج٨ ص٤٤، الإصابة ج١ ص٤٣١.

(٢) البداية والنهاية ج٨ ص٤٠٥.

أجمعت آراء الرواة على أن الحسن كان أكثر شبهًا برسول الله ﷺ.

مما يروى أن أبا بكر صلى العصر ذات يوم، فلما خرج.. رأى الحسن ابن على يلعب مع رفاق له، فأخذه وحمله على عاتقه، وهو يقول:

- بأبى شبيه بالنبى، ليس شبيهًا بعلىّ.

كان علىّ بن أبى طالب يسمع أبا بكر، فيضحك[1].

***

هكذا نشأ الحسن وعاش مع أخيه الحسين فى رحاب أبويهما، وعطف رسول الله، وفى مدرسته، مدرسة التقوى والحب والرحمة والسلام، فنهلا من العلم والأخلاق ما هيَّأهما للحياة.

***

وتتابعت الأيام، والأسرة السعيدة.. على وفاطمة والحسن والحسين تمضى بهم الحياة فى رحاب رسول الله ﷺ، وعلى خير ما يحبون فى ظلال نور الإسلام وهديه.. تسير بهم سفينة الحياة فى رخاء وحب وأمن وسلام.

وشاء الله لأسرة على أن يضاعف سعادتها، يوم أنجبت فاطمة ابنها الثالث محسنًا، فما كان إلا وديعة أودعها الله عندها، ثم استردها.. أعجل به إلى الموت، فلم تستمر حياته طويلاً، ليكون ذخرًا لأبويه فى الجنة.. هذه هى سنة الحياة.

(١) البداية والنهاية ج٨ ص١٠٤، الإصابة ج١ ص٤٣٢.

ثم سعدت الأسرة بمولد الابنتين زينب[١] وأم كلثوم[٢]، لتكتمل سعادة علىّ وفاطمة بالبنين والبنات، ولتمضى بهم الحياة جميعًا فى حب وأمل ومودة.

وفاة الرسول ﷺ

لم يكن الحسن قد تجاوز الثامنة من عمره..

حين استيقظ ذات يوم، فرأى مظاهر الحزن تعلو وجهى أبويه، وصور الاضطراب والفزع التى ارتسمت على وجوه الناس جميعًا.

لقد مات جده الحبيب إلى نفسه، القريب إلى قلبه[٣]. فرَّق الموت بينهما، فيا لقسوة الموقف عليه، ويا لها من لحظات قاسية عليه.

انهمرت دموع الحسن.. يشاركه الحسين، يبكيان الجد والأب فى رسول الله.. لم تفارقهما صورته وحدبه وعطفه عليهما، وكلماته الرقيقة الحانية الشافية التى كانا يجدان فيها رحمة ومودَّة وعطفًا.

كان الحسن يبكى بكاءً حارًا، فأبكى الصحابة حوله.. أبكى كل من ينظر إليه، وقد أحس بهول الفاجعة.

---

(١) زينب بنت علىّ بن أبى طالب، أمها فاطمة بنت الرسول، وجدتها لأمها السيدة خديجة. ولدت سنة ٥هـ، تزوجت ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبى طالب. حضرت مقتل أخيها الحسين. (الإصابة ج٤ ص٣٥).

(٢) أم كلثوم بنت علىّ بن أبى طالب، أمها فاطمة بنت الرسول، وجدتها لأمها السيدة خديجة، ولدت سنة ٧هـ، تزوجت عمر بن الخطاب، وأنجبت منه زيدًا ورقية، ثم تزوجت ابن عمها عوف بن جعفر بن أبى طالب.

(٣) كانت وفاة الرسول يوم ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ (الإصابة ج٤ ص٥٠٠).

وإذا كان الرسول ﷺ قد رحل، فقد بقيت ذكراه عطرة؛ تملأ جوانح الحسن وأخيه.

من أجل هذا.. اعتاد الحسن أن يصحب أخاه الحسين، ويذهبا إلى أى مكان كانا يجدان فيه رسول الله، كثيراً ما ذهب الحسن إلى داره، يتذاكر تلك السويعات التى كان يقضيها معه، وكثيراً ما اتجه إلى المسجد، وجلس حيث كان يجلس جده، ليعظ الناس، وكثيراً ما كان يتطلع إلى أعلى المنبر، فيخيل إليه أنه يخطب فى الناس، فلا يستطيع أن يمسك دمعة تحيرت فى مقلتيه.

****

الباب الثاني

الحسن في عهد أبي بكر وعمر

الحسن فى عهد أبى بكر الصديق

لا شك أن الحسن شهد -كصبى- طرفًا من الأحداث التى عاشها المسلمون فى المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

شهد يوم السقيفة.. يوم بايع المسلمون أبا بكر خليفة لرسول الله، ورأى أباه، وهو يمشى إلى أبى بكر، يصافحه، ويبايعه، فأحس بمكانة أبى بكر، وقد التف حوله المسلمون جميعًا.. أنصارًا ومهاجرين.

صحيح أن الحسن لم يكن له دور فى تلك الأحداث.. لكنه عاصرها، فبقيت فى ذاكرته، وكانت له عظة ودرسًا، كيف استطاع المسلمون أن يعلوا فوق الصراعات والخلافات، وأن يوحدوا صفوفهم من أجل استمرار قوة الإسلام، ولعل هذا الموقف كان دافعًا له إلى الموقف الذى اتخذه يوم اشتد الصراع بين طائفتين من المسلمين.. طائفة أبيه وطائفة معاوية، فحاول أن يصلح بينهما.

لقد سعد الحسن ذات يوم، حين رأى أبا بكر وهو يرتجل ماشيًا، ليودع جيش أسامة بن زيد، وأحس بالفخر يملأ كيانه حينما أصر أبو بكر على قتال المرتدين، ومانعى الزكاة، من أجل أن تمتد مسيرة جده.

***

بينما كانت الأحداث تمضى فى المدينة المنورة على خير ما يراه المسلمون، وكان قد مضى على وفاة الرسول ستة شهور، رُوِّع المسلمون بوفاة الحبيبة الغالية فاطمة الزهراء، التى كانت أحب الناس إلى قلوبهم جميعًا، كما كانت أحب الناس إلى أبيها.

لقد ماتت فاطمة بنت محمد[١]!! ماتت الذكرى العطرة التى عُرفت بها، وشهد لها كل من تعامل معها. وكان الحسن ما يزال صبيًا لم يبلغ الحلم بعد، يرنو إلى الحياة بآمال عريضة فى رحاب أبويه، يشاركه أخوه الحسين وأختاه أم كلثوم ورقية، وما يملكون جميعا إلا أن يتصبروا على فراق الحبيبة الغالية التى ابتعدت عنهم، وهم فى سن أحوج ما يكونون فيه إلى رعايتها.

وبدت مشاعر الحزن على المسلمين جميعًا، وهم يوارون فاطمة الثرى، ولعلهم تذكروا أن الرسول ﷺ كان قد أخبر ابنته فاطمة ذات يوم، وهو فى فراش المرض أنها ستكون أول من يلحق به من أهله، وبشرها بالجنة.

***

شاء الله أن ينجح أبو بكر فى مهمته كخليفة للمسلمين، فقد سار على الدرب الذى كان يسير عليه رسول الله ﷺ، واستطاع أن يحفظ الإسلام، ويصونه من عبث العابثين، فانتصر على المرتدين، وأعادهم إلى حظيرة الإسلام.

كان الحسن بن على يتابع الأحداث التى تعيشها المدينة، فكان يجد فيها درسًا له فى مستقبله، وكان كثيرًا ما يذهب إلى أبى بكر، فيسعد به، أليس هو حفيد رسول الله وشبيهه، وكان الحسن يجد من أبى بكر الترحيب والتكريم.

فبينما كانت الأمور تمضى كما شاءها الله، وكما تمناها المسلمون، اختطف الموت أبا بكر الصديق رضى الله عنه. هذه سنة الحياة التى كتبت

(١) كانت وفاة فاطمة الزهراء فى رمضان سنة ١١هـ.

على البشر منذ آدم عليه السلام حتى نهاية الدنيا، فلا خلود لأحد، وحزن الحسن على أبى بكر، حزنا أعاد إليه أحزانه على جده وأمه، لكن كان عزاؤه، أن أبا بكر استطاع أن يمسك بزمام أمور الدولة الإسلامية، وأن يعلو بشأنها، وأن يضع لها أسسًا ثابتة الأركان، كما استطاع أبو بكر أن يمد رقعة الدين الإسلامى، فلم يعد مقصورًا على الجزيرة العربية، وإنما امتد إلى جنوب أرض الرافدين فى العراق.

***

فى عهد عمر بن الخطاب

ربما لم تسمح الظروف لعلى بن أبى طالب بمشاركة إيجابية فى الحكم أيام خلافة أبى بكر الصديق خصوصًا بعد موقف أبى بكر من فاطمة[1]، فلما تولى خلافة المسلمين عمر بن الخطاب، وكان يكن لعلى كل تقدير ومحبة، قرَّبه إليه، وأجزل العطاء لآل بيت هاشم. بل إن عمر كان يحترم الحسن والحسين ويقدرهما ويعزهما إعزازًا يفوق إعزازه لابنه عبد الله.

ولما زادت إيرادات بيت المال، نتيجة لاتساع الدولة الإسلامية فى العراق وإيران والشام.. ضاعف عمر العطاء لآل بيت هاشم، ومنهم على ابن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب.

(١) مما يذكر فى هذا الموقف أن السيدة فاطمة الزهراء كان لها ميراث أعطاه لها الرسول من فىء معركتى فدك وخيبر، فلما تولى أبو بكر ذهبت إليه فاطمة تطلب حقها، لكن أبا بكر رفض، على أساس أن الأنبياء لا يورثون، ودار نقاش بين فاطمة وأبى بكر انتهى بأن تعهد أبو بكر بأن يعطيها كما كان يعطيها أبوها مما يطعم أهله، ويوزع الباقى فى سبيل الله، ورضيت فاطمة بذلك.

كان عمر بن الخطاب قد سمع من رسول الله ﷺ حديثًا، قال فيه: «**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة، إلا سببى ونسبى**»[١].

ولمزيد من التكريم لآل بيت رسول الله ﷺ، تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت على بن أبى طالب حفيدة رسول الله ﷺ، وكانت ماتزال صغيرة، فتعهدها بالرعاية، وأنجبت له زيدًا ورقية.

واعتاد عمر بن الخطاب فى كثير من المواقف أن يستشير على بن أبى طالب، وكان على مخلصًا فى نصحه وإرشاده، فقد كان عمر يدرك حكمة على، ومن أجل هذا رشحه ليكون أحد الستة[٢] الذين اختارهم عمر للخلافة من بعده.

***

مضت الحياة بالمسلمين وعمر من نصر إلى نصر، ورفرفت راية الإسلام على عدة مناطق فى آسيا، وأفريقيا، فى العراق وإيران، والشام وفلسطين ومصر.. حتى شاء الله لعمر بن الخطاب أن تنتهى حياته على يد أبى لؤلؤة[٣].. مات شهيدًا فى سبيل الله والإسلام، وهو راض عن آل بيت رسول الله.. ومنهم الحسن والحسين.

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ١٤٢٣، ورواه الطبرانى.

(٢) كان عمر بن الخطاب قد رشح ستة، يختار المسلمون أحدهم، وهم: على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وكلهم من المبشرين بالجنة، ورفض عمر أن يكون سعيد بن زيد رغم مكانته فى الإسلام من المرشحين للخلافة، لأنه واحد من قبيلة عمر.. زوج أخت عمر.

(٣) أبو لؤلؤة: كان مجوسيًا من عبدة النار.. وقع أسيرًا فى الحرب مع الفرس. كان مولى عند المغيرة بن شعبة.

الباب الثالث

الحسن فى عهد عثمان بن عفان

كان عثمان بن عفان من أكثر الصحابة التصاقًا برسول الله ﷺ، ومن بعد الرسول أبو بكر وعمر، فكان يدرك ما يعيشه المسلمون فى تلك الفترة، وما عليهم من واجبات.

وكان لعثمان بن عفان مواقف كثيرة طيبة خالدة فى حياة الرسول، فهو صاحب الهجرتين -إلى الحبشة والمدينة- وهو ذو النورين -زوج رقية وأم كلثوم- والذى كان الرسول يتمنى لو كان عنده ابنة ثالثة لزوجها لعثمان، وكان لعثمان مواقف خالدة مثل: موقفه وشجاعته يوم صلح الحديبية، وشرائه لبئر رُومة، وتبرعه فى تجهيز جيش العسرة، وهباته من أحمال قوافله التى كان يوزعها على المسلمين بلا ثمن.

من أجل هذا كله.. كان عثمان بن عفان أحد الستة الذين رشحهم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ليختار المسلمون واحدًا منهم، خليفة للمسلمين.

حين بويع عثمان بن عفان خليفة للمسلمين فى شهر ذى الحجة سنة ٢٣هـ، كان الحسن بن على قد بلغ مرحلة الشباب.. فتوة وقوة وشجاعة.. مقدامًا، يقدر المواقف التى يعيشها المسلمون وخليفتهم عثمان، وقادتهم الذين قادوا رجال المسلمين فى عدة معارك، فى مواجهة الفرس والرومان، خلال عهد أبى بكر وعمر بن الخطاب، فوسعوا أملاك الدولة الإسلامية فى شرق الجزيرة العربية وشمالها وغربها.

أدرك الحسن بن على مسئوليته تجاه دينه، وأن عليه أن يحمل على عاتقه عبء الدفاع عنه كواحد من أبطاله.

من أجل ذلك.. سلك الحسن فى صفوف المسلمين، مجاهدًا.. محاربًا.. تدفعه الجرأة وفوران الشباب.

فى ذلك الوقت من التاريخ الإسلامى.. كان المسلمون قد استولوا على مصر، فكان على عثمان بن عفان أن تواصل جيوش المسلمين توسيع أملاكهم فى شمال أفريقيا، متخذين من مصر قاعدة لهم، لتكون هذه التوسعات طريقًا إلى فتح بلاد الأندلس، والقسطنطينية.

شارك الحسين أخاه الحسن فى الجهاد فى سبيل الله، فانضما بتشجيع من أبيهما على بن أبى طالب إلى جيوش المسلمين الذين أوكلت إليهم مهمة فتح شمال أفريقيا، بقيادة مجموعة من الأبطال منهم عبد الله بن أبى السرح(١) شاركه عبد الله بن عمر بن الخطاب(٢)، وعبد الله بن الزبير بن العوام(٣)،

---

(١) عبد الله بن سعد بن أبى السرح: هو أخ لعثمان بن عفان من الرضاعة. أسلم، وكان كاتبًا للوحى، لكنه لم يكن أمينًا فى كتابته، فعزله رسول الله ﷺ وطرده من المدينة المنورة، أنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣].
أهدر الرسول دمه، لكن عثمان شفع له، فعاد إلى الإسلام، وحسن إسلامه، وشهد فتح مصر، وشهد معركة صفين. توفى سنة ٥٧ هـ.

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب: ولد بعد البعثة المحمدية بثلاث سنوات. أسلم، وهاجر مع أبيه إلى المدينة.. عرض على النبى ﷺ أن يشترك فى معركة بدر ثم أحد، لكن النبى ﷺ رده لصغر سنه، كان له دور كبير فى تاريخ الإسلام، وروى عنه كثير من الصحابة. مات سنة ٧٢هـ وعمره ٧٨ سنة. (الإصابة ج١ ص٤٦٥).

(٣) عبد الله بن الزبير بن العوام: أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق، هاجرت أمه إلى المدينة وهى حامل فيه، فكان أول مولود فى الإسلام بالمدينة عام الهجرة، حفظ كثيرًا من=

وأبو ذر الغفارى[١] الذين حققوا انتصارات عظيمة، وغنموا من الأعداء غنائم كثيرة، بعثوا بأربعة أخماسها إلى المدينة المنورة، ووزعوا خمس الغنائم على من اشتركوا فى هذه المعارك.

كانت هذه الفتوحات سنة ٢٧هـ حيث كون المسلمون جيشًا قوامه عشرة آلاف مقاتل، كان منهم الحسن والحسين ابنا علىّ حفيدا رسول الله ﷺ، وحاولت جيوش البربر سكان هذه البلاد مقاومة المسلمين.. إلا أن المسلمين هزموهم، وقتلوا ملكهم، وعلقوا رأسه فى سهم، فتفرق رجاله من حوله، وكان من أهم المعارك التى خاضها جيش المسلمين.. معركة قرب القيروان (إحدى مدن تونس حاليًا)، كانت هذه الفتوحات بداية الطريق لدخول الإسلام بلاد الأندلس.

***

= الأحاديث النبوية، وروى عن رسول الله ﷺ وخالته السيدة عائشة، عرف بجرأته وشجاعته فى الحق، وعارض خلافة معاوية بن أبى سفيان، ثم رفض مبايعة يزيد بن معاوية، بايعه أهل مكة، فاحتمى بالكعبة، لكن رجال يزيد هجموا على الكعبة وأحرقوها، وقبضوا على عبد الله، وقتلوه، قتله الحجاج بن يوسف. (طبقات ابن سعد ج٩ ص٤٠٩، الإصابة ج٢ ص٤١٢).

(١) أبو ذر الغفارى اسمه: جندب بن جنادة بن قيس بن بنى غفار. أرسله أخوه، ليتعرف أمر الرسول ودعوته، فأسلم هو وأخوه، وتبعه فى الإسلام كثير من قومه، ولذلك كان يجد إعزازًا من رسول الله ﷺ، وكان يقربه من مجلسه، وقال عنه: «أبو ذر وعاء ملىء علمًا» أخرجه أبو داود، وقال عنه: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبى ذر»، وكان يساوى ابن مسعود علمًا، لحق بجيش المسلمين فى تبوك. توفى سنة ٣١هـ بالربذة (قرب المدينة)، ودفن بالبقيع. (الإصابة ج٤ ص٨٤).

ومضت الأحداث فى المدينة المنورة، وكثرت الانتصارات فى عهد عثمان، إلا أن هذه الأحداث اتخذت طابعًا آخر بعد ذلك، حين وفد إلى المدينة المنورة قوات من شتى أنحاء الدولة الإسلامية، خصوصًا من مصر، يعلنون سخطهم على الولاة الذين عينهم عثمان بن عفان، ويطالبونه بعزلهم.

ربما كانت هناك عوامل متعددة دفعت المسلمين إلى هذه الحالة، مثل عوامل الصراع القديم بين بنى هاشم وبنى أمية، والتى وضحت بعد ذلك معالمها فى النزاع بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان.

هذا بالإضافة إلى العصبيات المحلية، وقيام بعض الجماعات المحركة للثورة، مثل جماعة السبئيين الذين كان يقودهم اليهودى عبد الله بن سبأ، حتى كادت الثورات تتحول إلى نكبة.

اشتعلت الثورة على كثير من الولاة الذين ولاهم عثمان بن عفان، وكان من هؤلاء الولاة عبد الله بن أبى السرح الذى ولاه على مصر، خلفا لعمرو بن العاص، وسعيد بن العاص[١] الذى عينه واليًا على البصرة، والوليد بن عقبة الذى ولاه على الكوفة، ثم مروان بن الحكم[٢] الذى اتخذه مستشارًا له، فجمع ثروة طائلة.

(١) سعيد بن العاص: من بنى أمية، كان من فصحاء العرب، اشترك أيام عثمان فى كتابة المصحف الشريف، قاد الجيوش الإسلامية فى طبارستان. توفى سنة ٥٣هـ (الإصابة ج٢ ص٦٥، طبقات ابن سعد ج٧ ص٣٠٣).

(٢) مروان بن الحكم بن العاص ابن عم عثمان، عرف أبوه بمواقفه السيئة من الإسلام ومن عثمان، لذلك نفاهما الرسول ﷺ إلى الطائف، فلما مات الرسول سمح له عثمان بالعودة إلى المدينة.

وحاول بعض المقربين من عثمان أن يقنعوه بالتنازل عن الخلافة، درءًا لمزيد من الثورة والخلاف، وحفاظًا على وحدة المسلمين، لكن آخرين نصحوا عثمان ألا يفعل، وقالوا له:

- لا تخلع قميصًا ألبسكه الله.

حاول عثمان أن يدرس المشكلة بهدوء ورويَّة وحكمة، ليرضى الثوار، فبعث بعدد من الصحابة إلى هذه الولايات، ليدرسوا المشكلة على الطبيعة، ووافق على عزل بعض الولاة الذين كان الناس يشتكون منهم، لكن الدسائس حيكت لعثمان فازدادت الثورة اشتعالا.

***

يهمنا فى هذا الموقف أن نذكر دور الشهامة والبطولة والوفاء الذى لعبه الحسن وأخوه الحسين.. بل وعلى بن أبى طالب فى هذا الموقف.

حاصر الثوار دار عثمان، ومنعوه من الخروج للصلاة، ومنعوا عنه الطعام والشراب، فكان على بن أبى طالب يرسل إلى عثمان الماء مع مولاه.

وشعر بعض الصحابة وأبناؤهم بالخطر الذى يحدق بعثمان، وما قد يصيب المسلمين من سوء، فاتفقوا على الدفاع عنه، كان من هؤلاء: عبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله (وهما من المبشرين بالجنة) وعبد الله بن عمر وأبو هريرة، وشاركهم الحسن والحسين ابنا على.. حفيدا رسول الله.

تذكر صفحات التاريخ الموقف البطولى الرائع الذى وقفه الحسن بن على، تقلد سيفه، ووقف بجوار عثمان يذود عنه، مستعدًا لمواجهة أى خطر يتهدده، وبدت شهامة الحسن فى مواقف كثيرة، حتى أنه جرح أثناء الدفاع عن عثمان، فخشى عليه عثمان، وناشده أن يعود إلى أبيه، لعل الأيام القادمة تحتاجه للدفاع عن الإسلام ووحدة المسلمين، وقال عثمان للحسن:

- ارجع يا ابن أخى، حتى يأتى أمر الله.

مهما يكن من شىء، فما هى إلا كرة طرف، حتى استطاع أحد الثوار أن يطعن عثمان، لتنتهى به الحياة، شهيدًا فى سبيل الإسلام، ولم يخلع قميصه حتى يتحقق وعد رسول الله بدخوله الجنة، إذا لم يخلع القميص[1].

كان ذلك يوم ١٨ من ذى الحجة سنة ٣٥هـ.

****

(١) مما يروى أن الرسول قال: «وأنت يا عثمان سيسألك الناس أن تخلع قميصك الذى ألبسكه الله. والذى نفسى بيده لئن فعلت لن تدخل الجنة، حتى يلج الجمل فى سم الخياط» (رواه الطبرانى).

الباب الرابع

الحسن في عهد خلافة أبيه علي

مبايعة على خليفة للمسلمين

تتابعت الأحداث فى المدينة المنورة، وبايع كثير من الناس علىّ بن أبى طالب خليفة للمسلمين، فقد كانوا يدركون أنهم أحوج ما يكونون إلى الاستقرار.

كان الناس يعرفون مكانة علىّ، وقدرته وأحقيته فى الخلافة، فهو ابن عم رسول الله ﷺ، وهو الذى نام فى فراش رسول الله ليلة الهجرة، مضحيًا بحياته، وما قد يصيبه من الكفار، ثم هو زوج ابنة رسول الله.. وتعرف عنه شجاعته وبطولاته فى مواقف كثيرة، وكان لالتصاقه برسول الله طوال حياته أثر فى غزارة علمه وحكمته، وحنكته وقدرته على تسيير وتسييس أمور الدولة فى مرحلة من أهم مراحل التاريخ الإسلامى، والتاريخ يذكر لعلىّ أن أبا بكر وعمر كانا يستفتيانه فى كثير من أمور الحكم.

وكان فريق من الناس يرون أن علياً بن أبى طالب كان أحق بالخلافة من عثمان بن عفان، فقد كان واحدًا من الستة الذين اختارهم عمر، وإذا كانت الظروف فى ذلك الوقت لم تسمح أن يأخذ على حقه، فقد حان التفاف المسلمين حول خليفة لهم، فى هذه المرحلة الهامة من حياة المسلمين والإسلام.

لم يكن علىّ بن أبى طالب يريد الخلافة أو يهواها، لم تدفعه إليها رغبته فى الحكم.. لكن أهل الثقة من المسلمين المخلصين، وكلهم من صحابة رسول الله ﷺ.. وجدوا أن علىّ بن أبى طالب هو خير من يصلح لهذه الخلافة، فلم يكن عثمان قد اختار أحدًا ليخلفه، كما فعل عمر.

كان من هؤلاء الصحابة: سعد بن أبى وقاص[١]، والزبير بن العوام[٢]، وطلحة بن عبيد الله[٣]، وسعيد بن زيد[٤]، وأبو أيوب الأنصارى[٥]، ومحمد بن مسلمة[٦]، وزيد بن ثابت[٧].

(١) سعد بن أبى وقاص: خال رسول الله، ومن أوائل السابقين للإسلام، رفض أمر أمه أن يعود إلى دين آبائه. كان أول من أراق دمًا فى سبيل الله. هاجر إلى المدينة، وشهد كثيرًا من المشاهد مع رسول الله، وكان أحد الستة الذين اختارهم عمر للخلافة من بعده، هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، مات سنة ٥٤هـ، اشتركت بعض أزواج الرسول فى جنازته.

(٢) الزبير بن العوام: من أبطال المسلمين.. هو ابن عمة رسول الله، كان أحد الذين هاجروا إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وهو زوج أسماء بنت أبي بكر الذى لا ينكر أحد دورها يوم الهجرة. حضر المشاهد كلها مع رسول الله، كان أحد الستة الذين اختارهم عمر للخلافة من بعده. رفض مبايعة معاوية، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

(٣) طلحة بن عبيد الله: من قبيلة تيم التى منها أبو بكر الصديق. كان من أوائل المسلمين. شهد كثيرا من المشاهد مع رسول الله، وجاهد فى الدفاع عن الرسول يوم أحد. كان أحد الستة الذين اختارهم عمر للخلافة من بعده. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

(٤) سعيد بن زيد: زوج فاطمة أخت عمر بن الخطاب. من أوائل المسلمين والمهاجرين. شهد المشاهد مع رسول الله، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، شارك فى كثير من المعارك ضد المرتدين والفرس والروم، ورفض مبايعة معاوية وابنه يزيد. توفى سنة ٥١هـ.

(٥) أبو أيوب الأنصارى: من بنى النجار، عندما دخل الرسول إلى المدينة مهاجرًا.. كان ضيفًا عليه، اشترك مع علىّ بن أبى طالب فى معركة الجمل. شارك المسلمين فى فتح القسطنطينية ودفن بها.

(٦) محمد بن مسلمة: أسلم على يد مصعب بن عمير. شهد كثيرًا من المعارك مع رسول الله، استخلفه الرسول على المدينة فى غزوة تبوك، كان يعرف باسم فارس النبى. مات سنة ٤٦هـ.

(٧) زيد بن ثابت الأنصارى: أحد الذين اشتركوا فى جمع القرآن الكريم، كان له دور كبير فى خلافة أبى بكر وعمر. توفى بالمدينة سنة ٥١هـ. [طبقات ابن سعد، الإصابة].

ذهب هؤلاء الصحابة إلى دار علىّ بن أبى طالب، وطلبوا منه أن يكون خليفة على المسلمين، فقال لهم علىّ، وهو يدرك عظم المسئولية وأهميتها:

- لا حاجة لى فى أمركم. خير لى أن أكون وزيرًا من أن أكون أميرًا.

فقالوا له:

- أتبخل على ولاية المسلمين، وهم بحاجة إليك، إننا نوليك أمر المسلمين؟

وأبى علىّ إلا أن يكون ذلك على مشهد من كل المسلمين فى المسجد، وكانت بيعة المسلمين لعلىّ، صورة من صور الشورى فى الرأى.

كان الموقف على علىّ صعبًا، فقد بدأت تظهر بعض الصراعات الداخلية، والثوار لم يعودوا إلى بلادهم، وأنصار عثمان بن عفان يتعجلون الثأر من قاتليه.

كان لعثمان مكانة فى قلوب المسلمين، فلما قُتل، وبويع على بن أبى طالب بالخلافة، ذهب طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وهما من رموز الإسلام البارزين، ومن العشرة الذين بشرهم الرسول ﷺ بالجنة.. ذهبا إلى علىّ وطالباه بالإسراع بالقصاص من قتلة عثمان.

كان على يدرك صعوبة الموقف، فأخبرهما أنه لا يستطيع أن يفعل هذا الآن، لأن هؤلاء المجرمين لهم أنصار وأتباع وأعوان، مما قد يوجد الصراع والشقاق، فى وقت كان المسلمون أحوج ما يكونون فيه إلى التماسك

والوحدة ووعدهما أن يفعل حينما تتاح له الفرصة، وبعد أن تستقر الأمور، وتتضح الحقائق، ويعود الثوار إلى أوطانهم.

طلب الزبير بن العوام من علىّ أن يعينه واليًا على الكوفة[١].

وطلب طلحة بن عبيد الله أن يكون واليًا على البصرة.

لكن عليّاً كان يرى أن الأفضل أن يستمر الولاة فى أعمالهم دون تغيير، حتى تتضح الحقائق، ويتضح من معه ومن يعارضه.

فلما كانت سنة ٣٦هـ، أجرى علىّ تغييرات فى الولاة.

جعل عبد الله بن عباس واليًا على اليمن، وسمرة بن جندب واليًا على البصرة، وعمارة بن شهاب واليًا على الكوفة، وقيس بن سعد بن عبادة واليًا على مصر، وسهل بن حنيف واليًا على الشام.

الحسن فى معركة الجمل

رفض بعض الناس فى الولايات استقبال الولاة الذين عينهم علىّ، وأعلن معاوية بن أبى سفيان عصيانه وتمسكه بموقعه، ورفض مبايعة علىّ، وجهز جيشًا لملاقاته.

وثار أهل البصرة والكوفة، ورفضوا ولاية علىّ، وشجعهم على هذا طلحة والزبير ومن كانوا يصرون على الثأر من قتلة عثمان، لما لم يجدوا عليًا قد اتخذ خطوة فى هذا السبيل.

---

(١) لم يكن كل من الزبير وطلحة يريدان بهذه الولاية منصبًا ولا جاهًا، ولا سلطة، ولكنهما كانا يريدان الإصلاح بين المسلمين، فهما من مدرسة الرسول ﷺ، وتربيا فى دعوته، ولا يبتغيان نصيبًا من الدنيا، فقد بشرهما الرسول ﷺ بالجنة. [المؤلف]

تجهز علىّ وبعض رجاله قاصداً الشام، لملاقاة المعارضين الذين اتخذوا من قميص عثمان وأصابع زوجته التى قطعها القتلة.. طريقًا لتحريض الناس على علىٍّ بن أبى طالب، ورفض مبايعته.

لكن عليًا عدل عن خطته، ألغى اتجاهه إلى الشام، واستعد للاتجاه إلى البصرة، ليلتقى مع الثائرين الذين يقودهم طلحة والزبير، وكانا قد اتجها إلى البصرة.

هنا كان للحسن موقف لا ينساه التاريخ.

لما كان جيش علىّ عند الربذة (مكان على بعد ٢٤٠ كم من المدينة) لقيه عبد الله بن سلام[١]، وقال له:

- يا أمير المؤمنين.. من الخير لك ألا تخرج إلى الكوفة، والزم منبر رسول الله، فإن تركته، لا تراه أبدًا.

كان الحسن يدرك الصعوبات، والموقف الصعب الذى سيلقاه علىّ، وهو يصارع اثنين من أصحاب رسول الله: طلحة والزبير، وتشاركهما بعض أمهات المسلمين بقيادة السيدة عائشة[٢].

(١) عبد الله بن سلام بن الحارث.. أنصارى من بنى الخزرج من ذرية سيدنا يوسف عليه السلام، كان يهوديًا وأسلم، كان اسمه الحصين، فسماه الرسول عبد الله. قصته معروفة حين سأل الرسول اليهود عنه، فقالوا: (سيدنا وابن سيدنا) فلما علموا أنه أسلم، استنكروا ما قالوه، فأنزل الله قوله تعالى:

- ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف: ١٠].

- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣].

(٢) البداية والنهاية جـ٧ ص٢٢٨ - ص٢٤٠.

الجميع يطالبون عليًا بالثأر من قتلة عثمان.

حاول الحسن أن يثنى أباه عن السير إلى الكوفة، فاليد التى تصون القوم عن إراقة دماء المسلمين، خير من تلك التى تحرضهم على قتال بعضهم بعضًا.. كان الحسن يرى وكأن السيوف مشرعة نحو أبيه، فقال له:

- يا أبتى.. والله ما أظن إلا أنك ستقتل بمضيعة.. لا ناصر لك.

لكن عليًا كان مصرًا على منازلة خصومه، وتوحيد صفوف المسلمين، فقال للحسن:

- إنك لاتزال تحن حنين الجارية.

قال الحسن:

- تمنيت لك يوم أحيط بعثمان أن تخرج من المدينة، فيقتل، ولست بها، وألا تبايع، حتى تأتيك وفود العرب.

قال علىّ:

- إنما نريد الإصلاح، ليعود أهل هذه الأمة إخوانًا، فكفًّ عنى يا بنى.

فلما بعث علىّ ابنه الحسن إلى البصرة، ليستنفر له الناس. صعد الحسن المنبر، وأخذ يخطب فى الناس، يشاركه عبد الله بن عباس وعمار ابن ياسر وقيس بن سعد، ليجيبوا دعوة أمير المؤمنين، ولينفروا معه، ويعينوه.

والتقى الطرفان المتنازعان فى مكان يعرف باسم ذى قار.

كان صعبًا على الحسن أن يتقاتل المسلمون.. يقاتل بعضهم بعضًا، كان صعبًا عليه أن تراق دماء الطرفين بينهما، بدلاً من أن تراق فى سبيل الله، وإعلاء كلمة الإسلام.

وكثيرًا ما كان يقول علىّ لابنه الحسن، والسهام تتراشق من حولهما، والرجال يتساقطون جرحى أو صرعى:

- يا حسن.. ليت أباك مات قبل عشرين عامًا، حتى لا يرى المسلمين يتقاتلون.

فيقول له الحسن، والحزن يعتصره:

- لقد نهيتك عن هذا، فلم تسمع إلىَّ.

فلا يملك علىّ إلا أن يجيبه، ويعلم الله ما فى نفسه من آلام على الصورة التى كان يعيشها المسلمون فى ذلك الوقت، فقال له:

- يا بنى.. إنى لم أكن أريد الأمر على هذا.

وبينما كان القتال تدور رحاه، وقد التقت أعناق الخيول، وتقارعت الطبول، التقى على بالزبير وطلحة، وقال لهما:

- إنى أراكما قد جمعتما خيلاً ورجالاً وعددًا، فهل أعددتما عذرًا يوم تلقيان الله، وما أراكما إلا أن تكونا كالتى نقضت غزلها بعد قوة أنكاثًا.

ربما صمت طلحة والزبير، فقد أحسا بخطئهما فى الخروج على علىّ.

وعاد علىّ يقول:

- ألم أكن حاكمًا فى دمكما، تحرمان دمى وأحرم دمكما، فهل حدث أن أحل لكما دمى؟

فقال طلحة:

- آليت على عثمان.

قال علىّ:

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥].

سكت طلحة، ويعلم الله ما كان يدور فى ذهنه، وهو يرى عليًا وابنه فى مواجهة له، وعاد علىّ يقول:

- لعن الله قتلة عثمان، يا طلحة أجئت بعروس رسول الله تقاتل بها، وخبأت عرسك فى البيت، أما بايعتنى يا طلحة؟

ثم اتجه علىّ إلى الزبير، وقال له:

- يا زبير.. ما أخرجك؟

قال الزبير:

- أنت، وما أراك بهذا الأمر أولى به منى.

قال علىّ:

- أما تذكر ذات يوم، حين قال لك رسول الله: «**تقاتل ابن أبى طالب وأنت له ظالم**».

فقال الزبير:

- اللهم نعم، ولو تذكرت ما سرت مسيرتى هذه، والله لا أقاتلك.

لم تكن هذه الأحداث بين علىّ وطلحة والزبير، والتى سمعها الحسن، إلا صورة لما أحس به المتقاتلون من ندم على ما وقع منهم، وما كان أغناهم عن هذا كله.

***

وانتهت معركة الجمل[1] وانتصر علىّ بن أبى طالب، وانهزم أعداؤه. وبينما كان علىّ يمضى بين الصفوف بعد المعركة، رأى طلحة بن عبيد الله مجندلاً فى دمائه، فحزن عليه، وترحم له، ودعا له.

ثم شاء الله لأحد المقاتلين أن يتبع مسيرة الزبير على غير رغبته من علىّ وقتله.

وبذلك انتهت حياة طلحة والزبير.

حمى الله السيدة عائشة، وهى فوق جملها من سهام المتقاتلين، ولجأت إلى إحدى الدور بعد المعركة، فجاء إليها علىّ، وسلم عليها،

(١) سميت المعركة بهذا الاسم لأن السيدة عائشة كانت تركب جملاً. حاول بعض المغرضين من الرواة أن يتخذوا من موقف السيدة عائشة فى هذه القضية موقف عداء لعلىّ دفعها إلى انضمامها لأعداء على، وزعموا فيما زعموه أن هذا الموقف من عائشة كان ردًا على موقف علىّ بن أبى طالب منها يوم حديث الإفك، وأن النبى حينما سأل عليًا عن رأيه، قال له علىّ: (يا رسول الله.. إن النساء كثيرات) وكأن عليًا بهذا كان يحرض الرسول على الزواج، أو أنه لم يبرئ عائشة. =

ورحبت به، ثم هيأ لها هودجًا فوق راحلتهـا، وبعث معها من يحرسها، لتتخذ طريقها إلى المدينة المنورة.. معززة مكرمة.

****

= ونحن ننزه السيدة عائشة عن هذا الذى ألصقه بها المغرضون، فهى أولاً وقبل كل شىء زوج رسول الله، وتربت فى مدرسته ومدرسة أبيها أبى بكر، وليس فى قلبها حقد ولا ضغينة لعلىّ. وكل مـا فى الأمر أن عائشة كانت تريد الإصلاح بين المتـخاصمين، عن طريق إقناع علىّ بالقـصاص من قتلة عـثمان الذى كـانت عائشة تكن له كل احـترام. تؤكد هذه الحقيقة أن علىّ بن أبى طالب قبل بدء المعـركة، بعث القعقاع بن عمرو إلى السيدة عائشة يسألها:

- ما أقدمك؟

قالت عائشة:

- إنما جئت للإصلاح بين الناس.

لقد كانت عائشة ترى أن الثورة ليست طريقًا إلى قتل الخلفاء أو عزلهم.

كانت السيدة عائشة تكن الاحترام والتقدير لعلىّ، وحينما التقت به بعد المعركة، قالت لمن حولها:

- والله ما كان بينى وبين علىّ، إلا كما يكون بين المرأة وأحمائها.

فقال لها علىّ:

- صدقت.. والله ما نراك إلا أنك زوجة لرسول الله ﷺ.

الحسن ودوره فى معركة صفين

بعد أن انتهت معركة الجمل.. سار علىّ ورجاله من البصرة إلى الكوفة. ومن الكوفة.. قاصدين الشام لملاقاة رجال معاوية.

كان معاوية بن أبى سفيان واليًا على الشام منذ عهد عمر بن الخطاب، وفى خلافة عثمان، فلما تولى علىّ الخلافة.. عزل معاوية من الولاية، وعين عبد الله بن عمر، فاعتذر عبد الله، لقرابته من معاوية، فعين علىّ سهيل بن حنيف[1] واليًا على الشام، لكن رجال معاوية رفضوا دخول سهيل إلى الشام، وطلبوا منه أن يعود، حتى يقتص علىّ من قتلة عثمان، وأعلن معاوية رفضه البيعة لعلىّ.

فى صفر سنة ٣٧هـ خرج معاوية ورجاله بقيادة ابنه يزيد لملاقاة علىّ ورجاله، وكان اللقاء فى صفين[2].

فى هذا الموقف كان للحسن رأى، فقال لأبيه، يحثه على الصلح مع معاوية؛ تنفيذًا لقول الله تعالى:

---

(١) سهيل بن حنيف: من بنى عوف آخى الرسول بينه وبين علىّ بن أبى طالب. شهد بدرًا وأحدًا، واشترك فى الدفاع عن الرسول يوم أحد، وشهد الخندق وكثيرًا من المشاهد مع رسول الله ﷺ. شهد معركة صفين واستشهد فيها. (طبقات ابن سعد جـ ٤ ص ٤٣٨، الإصابة جـ ٢ ص ١١٦).

(٢) صفين: موقع بالقرب من شاطئ الفرات الأيمن قرب الرقة. (موسوعة المنجد ص ٣٥٦).

- ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

لعل عليًا والمسلمين فى هذا الموقف تذكروا حديث رسول الله ﷺ، حينما قال عن الحسن:

- (إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)[١].

وبينما كانت الحرب تدور رحاها بين الفريقين، قتل عمار بن ياسر. قتله أحد رجال معاوية، مما أثار المسلمين، ولعل المتقاتلين حينما علموا بمقتل عمار، أدركوا أن عليًا بن أبى طالب على حق، فقد تذكروا حديثًا لرسول الله، قال فيه:

- «ويح ابن سمية، تقتله الفئة الباغية. يدعوهم إلى الحق، ويدعونه إلى الباطل»[٢].

لاشك أن هذا كان يعنى أن قتلة عمار الذين هم رجال معاوية، هم الفئة الباغية، وأن عليًا كان على حق فى قتالهم.

وحينما علم معاوية بما يقوله الناس عنه، قال:

- بل قتله من أخرجه.

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه والطبرانى.

(٢) رواه أحمد ١٠٩٥٣. (البداية والنهاية جـ ٧ ص ٢٦٢).

كان يقصد بهذا أن عليًا هو الذى كان سببًا فى قتل عمار، لأنه أخرجه للقتال معه.

***

أدرك رجال معاوية أن الهزيمة لاحقة بهم، فرفعوا المصاحف على سيوفهم، يعلنون التسليم، ويطلبون الصلح، والتحكيم بين الطرفين.

سعد كثير من المتقاتلين بانحسار القتال، أملاً فى الصلح، وحقنًا لدماء المسلمين العزيزة، ولعل الحسن كان متفائلاً بهذه النتيجة، باعتبارها الطريق إلى الصلح، حتى لا تتحول آمال المسلمين فى توسيع دولتهم، ونشر دينهم إلى أنقاض، يطمع فيها الطامعون، ويجد المتربصون بالإسلام فرصة للنيل منه، ورجاله عنه لاهون بالقتال.

لكن الذى لا شك فيه أن جماعة أخرى من المسلمين من أهل العراق، كانوا يدركون أن هذا التحكيم خدعة من معاوية ورجاله، وكان لهذه الجماعة رأى آخر، كانوا يرفضون التحكيم، ويريدون أن يستمروا فى معركتهم، وهؤلاء هم الذين عرفوا بالخوارج[1]، فلندعهم الآن، فسيكون لهم دور طويل فى الأحداث القادمة.

ونعود إلى التحكيم.

---

(١) الخوارج: فرقة من المسلمين، خرج أصحابها على علىّ بن أبى طالب، لأنه رضى بوقف القتال مع أنصار معاوية، والصلح على مبدأ التحكيم بعد معركة صفين، كان من هؤلاء الخوارج: عبد الرحمن بن الملجم الذى قتل عليًا.
من عقيدتهم: أنهم لا يعترفون بالخلافة بعد علىّ بن أبى طالب، تفرعت منهم عدة فرق. (موسوعة المنجد ص ٦٨١).

اختار علىّ أبا موسى الأشعرى[١] حكمًا له، واختار معاوية عمرو بن العاص[٢] حكمًا له.

اتفق الحكمان على خلع على ومعاوية، ويختار المسلمون ما يشاءون بعدها، وكتبا ذلك فى صحيفة وختماها، وهذا هو الجزء المتفق عليه بين المؤرخين، أما هذه الزيادة التى تطعن فى عمرو بن العاص ففيها خلاف[٣].

وكان يمكن أن ينتهى الموقف عند هذا الحد، لكنه ازداد اشتعالاً، فسار جيش علىّ إلى حيث تجمع الخوارج، ودارت بين الطرفين معركة النهروان[٤] التى انتصر فيها علىّ.

الحسن ومقتل أبيه علىّ

غامت سحب الحقيقة، وتلبدت السماء بغمام الباطل الذى طمس معالم الحق، فحجب رؤية الواقع على المسلمين فى تلك المرحلة من تاريخهم، والتبست الأمور.. أى الفرق الثلاث على حق.

---

(١) أبو موسى الأشعرى: هو عبد الله بن قيس من بنى كهلان من سبأ. أسلم بمكة. قال عنه رسول الله (سيد الفوارس أبو موسى) توفى سنة ٥٢ فى خلافة معاوية.
(رجال حول الرسول- خالد محمد خالد ص ٣٦٨، طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ١٣٩).

(٢) عمرو بن العاص بن وائل: كان أحد سفيرى قريش إلى النجاشى، لطرد المسلمين المهاجرين إلى الحبشة، أسلم مع خالد بن الوليد. اشترك مع الرسول فى عدة غزوات. وفى عهد أبى بكر وعمر اشترك فى عدة حروب، وفتح قنسرين، وقاد جيش المسلمين فى فتح مصر، وعينه عمر واليًا عليها. فلما تولى علىّ الخلافة عزله منها. مات سنة ٤٣هـ وعمره ٩٠ سنة. (الإصابة جـ ٣ ص ٥).

(٣) انظر مروج الذهب للمسعودى جـ٢ص٢٧ وانظر تاريخ الإسلام حسن إبراهيم جـ١ص٣٠٦.

(٤) النهروان: موقع بالعراق قرب بغداد.

وتصارعت الفرق الثلاث.. خليفة المسلمين علىّ وأنصاره، ومعاوية ابن أبى سفيان وأنصاره الذين يطالبون بالثأر من قتلة عثمان، ثم الخوارج الذين خرجوا على الطائفتين.. رفضوا الصلح والتحكيم.

كانت ثورة الخوارج أكبر من أن تجمح، حتى بعد أن انتصر عليهم علىّ فى معركة النهروان.

اجتمع الخوارج، واتفقوا على قتل الثلاثة الذين تسببوا فيما آل إليه حال المسلمين من تمزق، وتجهز ثلاثة منهم، كل واحد تعهد بأحد الثلاثة.

عبد الرحمن بن الملجم المرادى: اختص بعلىّ بن أبى طالب.

البرك بن عبد الله التميمى: اختص بمعاوية.

وعمرو بن بكير التميمى: اختص بعمرو بن العاص.

كان الحسن بن علىّ يدرك ما يحيط بأبيه من خطر يتهدده، فحاول أن يقنعه بترك الكوفة، والعودة إلى المدينة المنورة، لكن علياً أبى إلا أن تنتهى المعركة لخير المسلمين ووحدتهم، ولا يملك الحسن، يشاركه أخواه الحسين ومحمد ابن الحنفية[1]، إلا أن يستقيموا مع أبيهم، حتى تنتهى المعركة.

***

(١) محمد ابن الحنفية: هو ابن علىّ بن أبى طالب. أمه الحنفية خولة بنت جعفر بن قيس، كانت أمة لبنى حنيفة، عُرف محمد بالورع وغزارة العلم، اشترك فى معركة الجمل وحمل الراية، واشترك فى معركة صفين. توفى فى المحرم سنة ٨١ وعمره ٦٥ سنة. (طبقات ابن سعد جـ ٧ ص ٩٣).

فلما كانت ليلة ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ.

قضى علىّ بن أبى طالب ورجاله الليل إلا قليلاً.. يصلون لربهم، ويتهجدون له ويدعونه فى شهر مبارك، أن يضع حدًا لفرقة المسلمين.. حتى نادى المنادى لصلاة الفجر، فازدحم المسجد بالمصلين بين راكع وساجد وقائم، وسمعوا من ينادى:

- الصلاة.. الصلاة.

وقبل أن ينتظم المسلمون صفوفًا.. برز من بين المصلين رجلان، فأما أحدهما، فهو عبد الرحمن بن الملجم المرادى أسرع إلى علىّ، وهوى بسيفه على رأسه، وهو يهتف به:

- يا علىّ.. لله الحكم، لا لك، ولا لمعاوية.

سقط علىّ مضرجًا بدمائه، فما هى إلا كرة عين، حتى أقبل الرجل الثانى يريد أن يجهز على علىّ، لكن سيفه طار منه، فهرب خارجًا.

شعر كل من بالمسجد بما وقع لخليفة المسلمين، ورأوه، وهو يعالج آلام جراحه، ويهتف بهم:

- لا يفوتنكم الرجل.

فأسرع الرجال، وقبضوا على ابن الملجم، وجاءوا به إلى علىّ، وما تزال دماؤه تنزف منه، فقال لهم:

- النفس بالنفس، إذا أنا مت، فاقتلوه، وإذا بقيت.. رأيت فيه رأيى.

حزن المسلمون، وهم يرون عليًا يصارع سكرات الموت، وكان الحسن أكثر حزنًا على أبيه، ولعله فى تلك اللحظة، تذكر نصيحة عبد الله بن سلام حين لقى عليًا فى الربذة، ونصحه ألا يغادر منبر رسول الله، فقد لا يعود إلى المدينة. ترى.. هل كشف حجاب المستقبل عن ابن سلام، فرأى ما لم يره علىّ؟!

وجاءوا بطبيب إلى علىّ، لعله يشفى جراحه، فقد ساء المسلمين أن يفقدوا خليفتهم، مما قد يعرض الإسلام للخطر، ولكن الطبيب أبدى عجزه عن أن يفعل شيئًا، وترك الأمر لإرادة الله.

كانت أم كلثوم[1] بنت علىّ حاضرة الموقف، فأحزنها ما وقع لأبيها، فجلست إلى جواره، تسرى عنه بعض آلامه، وتدعو ربها أن يخفف عنه ما يشعر به، فبينما هى كذلك.. جاءوا إلى علىّ بقاتله عبد الرحمن بن الملجم، وأدخلوه عليه، ليسألوه، ما هم به صانعون، فنظرت أم كلثوم إليه، وقالت:

- يا عدو الله.. الله مخزيك.. قتلت أمير المؤمنين.

فقال القاتل:

- ما قتلت إلا أباك!![2].

---

(١) هى: أم كلثوم بنت علىّ بن أبى طالب. سبقت ترجمتها.

(٢) إذا كان ابن الملجم قد نجح فى قتل علىّ، فقد فشل صاحباه فى قتل معاوية وعمرو بن العاص. فأما البرك بن عبد الله الذى وكل إليه قتل معاوية، فقد انتظره وهو خارج لصلاة الفجر، فما كاد يراه حتى ضربه بخنجر مسموم، فأخطأت الضربة معاوية، وجاءت فى فخذه، فلم يصب منه مقتلاً، فلما قبضوا عليه، أنبأ معاوية بخبر مقتل علىّ بن أبى طالب.

ونظر علىّ إلى قاتله، وكثير من المسلمين حوله، وقال:

- أحسنوا إلى الرجل، وأطعموه، وأسقوه، وأحسنوا إساره، فإن متُّ، فاقتلوه مثلى، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، ولا تمثلوا به، فإنى سمعت رسول الله يقول: **«إياكم والمُثلة ولو بالكلب العقور»**.

كان علىّ بن أبى طالب، ما يزال يصارع نزعات الموت، حينما دخل عليه بعض المسلمين، وقالوا له:

- يا أمير المؤمنين.. استخلف لنا من يكون بعدك.

وتقطعت الكلمات على شفتى علىّ، وهو يقول لهم:

- لا.. ولكنى أدعكم كما تركككم رسول الله، فإن يرد الله بكم خيرًا، يجمعكم على خير، كما جمعكم بعد رسول الله.

قالوا له:

- يا خليفة رسول الله، فما تقول لربك حين تلقاه؟

قال علىّ، والكلمات تتراجع فى حلقه:

- أقول له: اللهم تركتنى فيهم ما بدا لك، ثم قبضتنى إليك، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم.

= وأما عمرو بن بكير الذى وكل إليه قتل عمرو بن العاص، فقد انتظر وهو خارج لصلاة الفجر، لكن عمرًا كان قد أصابه مرض أعجزه عن الخروج فى هذه الليلة، فأناب عنه صاحب الشرطة واسمه خارجة، فلما لقيه عمرو بن بكير، عاجله بضربة قضت عليه، وشاء الله أن ينقذ عمرو بن العاص، ولما جاءوا بالقاتل أمام عمرو بن العاص، قال لهم:
- أردت عمرًا، وأراد الله خارجة. (البداية والنهاية جـ ٧ ص ٣٢٨).

فما هى إلا بضع ساعات.. عاشها المسلمون، يصارعون أحزانهم.. لا تبرح عقولهم صورة ما قد يحدث لهم.. حتى أعلن الناحب وفاة على ابن أبى طالب.

لم يتمالك المسلمون أنفسهم -حتى هؤلاء الذين كانوا يعارضون علياً- انهمرت دموعهم الكاوية على وجوههم، إعلانًا عن شدة أحزانهم.

فلما كان الليل.. دفن علىّ.. واراه المسلمون الثرى[1]، وصلى عليه الحسن، فهو أكبر أبنائه.. بين التكبير، ومشاعر الحزن التى سيطرت على نفوس المسلمين جميعًا، حتى معاوية.. عدوه.. بكاه، عندما سمع ما حدث له، بكى فيه صلاحه وتقواه ومنزلته عند جده رسول الله.

ولتبقى صورة علىّ فى قلوب محبيه، يترحمون عليه، ويستمعون إلى وصاياه، وهو يوصيهم بالطاعة لله ورسوله، وتقوى الله، وحبهم لبعضهم، ولدين الله.

****

(١) يروى بعض الرواة.. أن الحسن والحسين نقلا جثمان أبيهم علىّ بن أبى طالب إلى المدينة المنورة، وأنهما دفناه فى البقيع بجوار أمهما فاطمة الزهراء بنت رسول الله. (والله أعلم).

الباب الخامس

الحسن خامس الخلفاء الراشدين

مبايعة الحسن خليفة للمسلمين

بعد وفاة على بن أبى طالب.. كان على المسلمين أن يتماسكوا.. أن يلملموا ما تناثر من وحدتهم.. أن يجمعوا بعض أنفاسهم التى تساقطت، بسبب ما وقع لهم من أحداث، فقد راعهم ما حدث لشجرة الإسلام التى رواها الرسول وتعهدها الخلفاء الراشدون، من بعده، بالرعاية.. أحسوا أن هذه الشجرة اليانعة التى امتدت ظلالها، تتعرض لعبث العابثين الذين يحاولون أن يعبثوا بجذورها، وأن يُعَرُّوها من أوراقها وفروعها!!

لذلك أسرع بعض المخلصين.. يتقدمهم قيس بن سعد بن عبادة[1]، وقالوا للحسن:

- يا حسن.. ابسط يدك نبايعك، خليفة للمسلمين، على كتاب الله وسنة رسوله.

سكت الحسن.. لا شك أن أفكارًا كثيرة تصارعت فى نفسه، عما حدث لأبيه وللمسلمين، لكن قيسًا أقبل على الحسن، وشد على يده، وبايعه.

(١) قيس بن سعد بن عبادة: أنصارى من بنى الخزرج. كان ضخمًا، طويلاً، حكيمًا شجاعًا، شهد كثيرًا من المشاهد مع رسول الله ﷺ، منها: غزوة العسرة، وكان يحمل راية الإسلام، وكان مع الرسول بمنزلة صاحب الشرطة مع الأمير، حضر فتح مصر، وولاه علىّ عليها، شهد معركة صفين مع علىّ، توفى سنة ٥٨هـ. (الإصابة ج٣ ص٣٣١).

وتبع قيسًا كثير من المسلمين، يشدون على يد الحسن، ويبايعونه خليفة لهم، فهو خير من يقوم على رعايتهم، ويقودهم فى مرحلة مهمة من مراحل الإسلام وتاريخه.

وتتابعت الوفود من الأمصار الإسلامية: من العراق، والحجاز، واليمن، ومصر، يعلنون مبايعتهم للحسن بن علىّ، خليفة للمسلمين، ليكون الحسن هو خامس خلفاء المسلمين بعد (أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلىّ).. ولم يبايعه أهل الشام الذين استمروا على عهدهم لمعاوية بن أبى سفيان، رافضين البيعة للحسن.

الصراع بين الحسن ومعاوية

كان الحسن يتمنى أن تستقر أمور الدولة الإسلامية فى خلافته، وأن يتوحد المسلمون صفًا واحدًا، وأن ينبذوا الخلاف والشقاق، حتى يستقيم السلام بين الجميع، ويتوقف نزيف الدماء، ويعود المسلمون إلى اتساع أملاك دولتهم، والجهاد الذى توقف منذ الثورة على عثمان بن عفان، وقتله.

شجع بعض المسلمين الحسن أن يوجه جيشًا إلى الشام لمواجهة رجال معاوية، واستخلاص البيعة من أهل الشام للحسن الذى اختاره المسلمون خليفة لهم.

عُرف الحسن بن علىّ بقوة شخصيته، وحكمته، وزهده فى المال والجاه والسلطان.. لكنه وجد أن واجبه يقتضى أن يعيد الأمن والسلام إلى المسلمين جميعًا.

لذلك، كون جيشًا قوامه ١٢ ألف مقاتل، يقوده قيس بن سعد بن عبادة، ليمضى فى طريقه إلى الشام، ولكن الحسن قد اختط خطة للجيش أن يمر فى طريقه على المدائن، ليبايعه أهلها.

وصل جيش الحسن إلى المدائن، هنا وقعت واقعة لم يتوقعها الحسن وقائده ورجاله.

فبينما رجال الجيش فى معسكرهم، والحسن فى خيمته.. جرت إشاعة[١]، انتشرت، يهتف بها أصحابها:

- لقد قتل قيس بن سعد، قائد الجيش.

كان من الصعب السيطرة على الموقف الذى انهار، فانتشرت الفوضى، وبدت تباشير ثورة، كأنما كانت تنتظر من يشعل فتيلها، وهجم الثوار على خيمة الحسن، ونهبوا أمتعته، حتى السجادة التى كان يصلى عليها.. انتزعوها من تحته، وهاجمه بعضهم، فأصابوه بسهامهم فى فخذه بجراح، أقعدته عن الحركة.

فى هذا الوقت.. برزت الفتنة تطل برأسها.

كان والى المدائن هو سعد بن مسعود الثقفى[٢]، فجاءه المختار[٣] ابن أخيه عبيد بن مسعود، وحرضه على أن يقوم سعد بالقبض على الحسن

(١) الحسن خامس الخلفاء للصلابى ص٤١١ - ٤١٩.

(٢) سعد بن مسعود الثقفى، هو عم المختار بن عبيد، كان من رجال على بن أبى طالب، وحضر معه معركة صفين، كان يسمى العبد الشكور. (الإصابة ج٢ ص٥٠).

(٣) المختار بن عبيد: قتل سنة ٦٧هـ.

وتقييده، وإرساله إلى معاوية، لتكون نهاية الحسن على يديه، ومنّى المختار عمه بسلطة ومكانة له عند معاوية، لكن سعد بن مسعود رفض رأى ابن أخيه، وطرده، مبقيًا على وفائه للحسن.

كان هذا الموقف بداية إحساس الحسن بسوء ما قد ينتظره من عقبات، ولعله فى هذه اللحظة فكر فى الصلح مع معاوية.

* * *

علم معاوية بما حدث للحسن فى المدائن، فأحس بأنها فرصة له، ليعرض عليه أن يتصالحا، ويوقفا الحرب بين المسلمين.

كان الحسن فى الكوفة، حينما بعث إليه معاوية برسولين هما: عبد الرحمن بن سمرة[١] وعبد الله بن عامر بن كريز[٢] ليبلغاه باستعداد معاوية للصلح معه، فلما التقى الرسولان بالحسن، ليعرضا عليه رأى معاوية، كان الحسن يدرك أبعاد الموقف، فقال للرسولين:

- إن هذه الأمة قد عاثت كثيرًا فى دمائها، ومن الخير لها أن ينال أصحابها الأمن والسلام.

---

(١) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب: أسلم يوم فتح مكة، كان اسمه عبد كلال، فسماه الرسول عبد الرحمن. اشترك فى فتح سجستان (بالقرب من نهر جيحون) اشترك فى الحروب مع عثمان. توفى سنة ٥١هـ.

(٢) عبد الله بن عامر بن كريز: ينتهى نسبه إلى عبد مناف، وُلد فى حياة رسول الله. عينه عثمان بن عفان واليًا على البصرة. اشترك مع معاوية فى معركة الجمل. ولاه معاوية البصرة بعد صلحه مع الحسن. توفى سنة ٥٨هـ. (البداية والنهاية ج٨ ص٤١١).

قال الرسولان:

- فإن معاوية يعرض عليك الصلح، درءًا لمزيد من إراقة الدماء، وما نحسب إلا أنك راغب فى السلام.

قال الحسن:

- ومن لى بهذا؟

قال الرسولان:

- نحن لك به.

اشترط الحسن للصلح عدة شروط.. كان من أهمها:

أن يكون للحسن ٥٠٠٠ درهم كل عام من بيت مال المسلمين، وألا يسب أحد أباه بما يسىء إليه، فوافق الرسولان، وتعهدا بذلك، وكلما طلب الحسن أمرًا.. تعهد الرسولان بتحقيقه، وقالا للحسن:

- نحن لك به.

كان الحسن يعلم أن كثيرًا من رجاله يرفضون الصلح مع معاوية، ويصرون على قتاله، مهما كانت النتائج.

وكان الحسين بن على من أكبر المعارضين لأخيه، وكان يرى أن من الخير للمسلمين أن يتقاتلوا من أجل الحق، وأعلن لأخيه رفضه لهذا الصلح، وعابه عليه، ونهره، وكادت تقع الفرقة بينهما.

كان كثير من المسلمين، خصوصًا أهل الكوفة والعراق، يرفضون الصلح مع معاوية، ويطالبون الحسن بالاستمرار فى قتال معاوية ورجاله،

حتى قيس بن سعد، قائد جيش الحسن رفض هذا الصلح، واعتزل القيادة من الجيش احتجاجًا على رأى الحسن.

لكن الأمر فى العراق.. كان ينبئ عن خطر، فقد اختلف أهل الكوفة فيما بينهم بين معارض للصلح، وموافق عليه، مما جعل الحسن يدرك أن الأمر أصعب مما يحتمله الخلاف والشقاق، فوافق على الصلح.

الحسن يتنازل عن الخلافة

التقى الحسن مع معاوية، وأعلن الحسن تنازله عن الخلافة لمعاوية، كان ذلك فى أوائل سنة ٤١هـ، ولذلك يعرف هذا العام بعام الجماعة، واشترط الحسن على معاوية عدة أمور، منها:

١- أن يعمل معاوية فى حكمه بكتاب الله وسنة رسوله.

٢- أن تكون الخلافة بعد معاوية شورى بين المسلمين.

٣- الناس آمنون حيث كانوا، وأن يأخذ كل صاحب حق حقه.

وحتى تستقر الأمور تمامًا.. طلب معاوية من الحسن أن يخطب فى الناس، ويعلنهم بما تم بينهما من صلح، ويخبرهم أن معاوية هو خليفة للمسلمين.

وهكذا انتهى الصراع بين طائفتين من المسلمين: طائفة الحسن وطائفة معاوية.

* * *

وقبل أن نترك هذا الموضوع، يجدر بنا أن نشير إلى حقيقتين مهمتين، تنبأ بهما رسول الله ﷺ قبل حدوثهما:

أما أولى الحقيقتين: فهى أن رسول الله ذات يوم، قال عن الحسن: **«إن ابنى هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين طائفتين من المسلمين»**(١). وقد تحققت نبوءة رسول الله ﷺ بالإصلاح بين الحسن ومعاوية، فانتهت العداوة بينهما، دون إراقة للدماء، ليعيش المسلمون فى أمن واستقرار.

وأما الحقيقة الثانية، فهى عن حديث لرسول الله أنه قال: **«الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم يكون ملكًا»**(٢).

وقد تحقق هذا الحديث، فمعروف أن النبى توفى فى شهر ربيع الأول سنة ١١هـ ومن بعده مباشرة، كانت خلافة أبى بكر، واستمرت الخلافة فى عهود عمر وعثمان وعلى والحسن، حتى تنازل الحسن بن على عن الخلافة لمعاوية فى ربيع الأول سنة ٤١هـ، أى بعد ثلاثين عامًا، وكانت الخلافة بعد ذلك فى عهد معاوية، ومن بعده ابنه يزيد وباقى خلفاء الدولة الأموية بالوراثة. أى ملكية!! وتمضى الأمور فى الدولة الإسلامية، ومعاوية حاكمًا على المسلمين.

الحسن بعد تنازله عن الخلافة

كانت الفترة التى عاشها المسلمون منذ الثورة على عثمان بن عفان سنة ٣٥هـ وما تبعها من أحداث وصراعات بين على بن أبى طالب، ومعاوية

(١) رواه البخارى ٢/٢٠٦.

(٢) رواه أبو داود ٢٦٤٦، والترمذى ٢٦٢٦.

ابن أبى سفيان، ثم بين معاوية والحسن بن على، حتى تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة سنة ٤١هـ، كانت هذه الفترة من حياة الدولة الإسلامية ست سنوات فترة حرجة عصفت بها الفتن.

كانت تلك الفترة.. أشبه بسفينة فى عرض البحر.. التوى شراعها، وانحرفت دفتها، وتكسرت مجاديفها، واختلف فيما بينهم ربانوها.. ماذا يفعلون!! فساقتها الرياح على غير وجهتها، حتى ألقت بها عند ساحل جزيرة موحل.. هنالك أحس ربانوها بسوء اختلافهم، فانصرفوا إلى سفينتهم، يخلون بينها وبين ما حاق بها من أوحال، حتى رفعوها إلى صفحة مياه البحر، فراحوا يقيمون ما اعوجَّ من شراعها.. يصلحون ما عطب من دفَّتها، وتكسر من مجاديفها، حتى استطاعوا أن يعيدوا السفينة إلى موقعها فى البحر، لتمضى بهم باسم الله مجراها ومرساها.

وهكذا استمرت أمور الدولة الإسلامية فى عهد معاوية، ونشطت حركة امتدادها فى آسيا وإفريقيا، وتقدمها إلى أوروبا.

وانطلق الجيش الإسلامى فى الشرق، ففتح خراسان وسجستان (الواقعة قرب نهر جيحون) فأضاف إلى الدولة الإسلامية مساحات من آسيا، وشمال افريقيا، ثم امتدت أملاك الدولة الإسلامية فى أوروبا.

****

الباب السادس

أخلاق الحسن وصفاته وعلمه

عرف الحسن بصفاته الخَلْقِيَّة الجميلة.. يكفى أنه كان أكثر شبهًا برسول الله ﷺ، كان وسيمًا، ليس بالقصير، ولا بالطويل.. جميل الوجه المشرب بحمرة.. أدعج العينين، أجعد الشعر.. كث اللحية.

أما عن صفاته الخُلُقِيَّة.. فقد تربى الحسن صبيًا مع رسول الله ﷺ، ورعاه الخلفاء الراشدون من بعده، وعاش الحسن فى رحاب أبيه علىّ بن أبى طالب، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، ولازم الحسن كثيرًا من الصحابة الذين كانوا يعتبرون رموزًا مشرِّفة للإسلام. عرف جهادهم، وشاركهم حياتهم، وأخذ عنهم حكمتهم، وتحمَّس لكرمهم وشجاعتهم، فعرف بشجاعته، والصدق فى القول، والتواضع، والزهد فى المال والسلطان، والعفة، وحسن الجوار.

من أجل هذا.. كملت أخلاق الحسن، وحسنت صفاته، وصدقت معاملاته، فكان صورة طيبة للمسلم الصالح، الراعى لشئون دينه.

وفيما يلى.. نحاول أن نستشف أهم الصفات والمميزات التى عُرف بها الحسن فى حياته.

تقواه وورعه فى عبادته

اعتاد الحسن أن يحسن وضوءه، فإذا ما توضأ، تغير لون وجهه، ولما سألوه عن سبب ذلك، قال لهم:

- حق على من أراد أن يدخل على ذى العرش أن يتغير وجهه.

وهو فى صلاته، مقيم عليها، لا يفوته فرض ولا سنة.. كان ورعًا، خاشعًا لله، كثيرًا ما كان يقيم فى المسجد بعد الصلاة فى انتظار الصلاة، ذاكرًا لله، حامدًا له، يشترك مع الناس فى دراسة شئون دينهم ودنياهم، ويشاركهم حياتهم، ويبذل لهم نصحه، ويعرِّفهم بشئون دينهم.

لم تفارقه صورة أبويه، وهما يقومان فى الليل، يصليان، ويتهجدان، ويذكران الله بكثير من التسابيح والحمد، ثم وهما ينهضان فى عتمة االليل، يصليان الفجر، وقد ملأهما الخشوع.

واعتاد الحسن إذا صلى الغداة فى مسجد رسول الله.. أن يجلس فى مصلاه، يذكر الله، حتى ترتفع الشمس، ويجلس مع بعض سادات المسلمين، يتناقشون فيما يعن لهم من أمور دينهم، وصلاح دنياهم، ثم يقوم، فيزور أمهات المسلمين[1]، ويسلم عليهن، ويعود إلى داره، ثم ينصرف بعد ذلك إلى شئون حياته.

كان الحسن بن على يدرك فضل قراءة القرآن، فكان يواظب على قراءة القرآن الكريم، واعتاد أن يقرأ كل ليلة سورة الكهف، قبل أن يدخل فراشه، وكثيرًا ما كان يستدل فى خطبه بآيات من القرآن الكريم، يعظ الناس، ويرشدهم، ويؤكد لهم عقيدتهم.

وكان الحسن يقرأ فى كل ليلة وفى كل صباح، الأدعية والأوراد التى سمعها من رسول الله وأبويه، ليتقوى بها إيمانه.

(١) كان من أمهات المسلمين الباقيات فى عهد الحسن: صفية بنت حيى، جويرية بنت الحارث، سودة بنت زمعة، عائشة بنت أبى بكر، أم سلمة. (من دراسة لتاريخ زوجات الرسول. البداية والنهاية ج٨).

وعُرف الحسن بجزيل العطاء للفقراء والمحتاجين، حتى كان يقسم ما يحصل عليه من أموال ثلاث مرات.

واعتاد الحسن أن يحج كل عام إلى بيت الله الحرام، لم يكن يحج راكبًا، ولكنه كان يحج ماشيًا، والإبل تسير بجانبه، لا يمتطيها، حج خمسًا وعشرين مرة، ولما سألوه، لِمَ يحج ماشيًا؟ قال لهم:

- إنى أستحى من الله أن ألقاه، ولم أمش إلى بيته.

وكان الحسن يجد فى الصوم وسيلة من وسائل الصبر على طاعة الله، وحرمان الجسد من متع الحياة، وإذلال النفس وترويضها، والتقرب بالصوم إلى الله. فكان يكثر من الصيام، ليضاعف الله له حسناته.

وكان الحسن حكيمًا

تعمق الحسن بن على فى الحياة، فدرسها، وعرك ما فيها من خير وشر، وسبر أغوار أسرارها ومفارقاتها، وعاش أحزانها وأفراحها، وحلوها ومُرِّهَا، وغناها وفقرها.. وفتح الله قلبه على كثير من حقائقها، وعرف بفصاحته وبلاغته، فكانت له فى هذه عدة حكم وعبر.. استقاها من خلال أحداث حياته وعلمه وموهبته، ومن أقواله:

* هلاك الناس فى ثلاث: الكِبْر والحِرْص والحسد، فالكِبْر هلاك الدين، وبه لُعِن إبليس، والحرص عدو النفس، وبه أخرج آدم من الجنة، والحسد رائد السوء، وبه قتل قابيل أخاه هابيل.

* لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أفضل من العقل، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا حسب كحسن الخلق، ولا عبادة كالتفكر، ولا إيمان كالحياء، ورأس الإيمان الصبر.

* آفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة الحلم السَّفَه، وآفة الشجاعة البغى، وآفة السماحة المن، وآفة الجمال الخيلاء.

* وكان الحسن ينصح أبناءه وأحفاده، ويقول لهم:

- تعلموا، فإنكم اليوم صغار القوم، وغدًا تكونون كبارهم، فمن لم يحفظ منكم فليكتب.

* مكارم الأخلاق عشرة: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، والترحم على الجار، ومعرفة الحق المصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء.

* وقال الحسن ذات يوم لأصحابه:

- ألا أخبركم عن أخ كان أعظم الناس فى عينى.. كان أعظم ما عظمه فى عينى: صِغَر الدنيا فى عينيه، كان خارجًا من سلطان بطنه، فلا يشتهى ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجًا من سلطان جهله، فلا يمد يده، إلا على ثقة المنفعة، ولا يخطو خطوة إلا لحسنة، وكان لا يسخط ولا يتبرم، وكان إذا اجتمع مع العلماء، يكون على أن يسمع أحْرَص منه على أن يتكلم، وكان لا يشارك فى دعوى، ولا يدخل فى مراء، ولا يدلى بحجة، حتى يرى قاضيًا يقول ما لا يفعل، ويفعل ما لا

يقول، تفضلاً وتكرمًا، وكان لا يغفل عن إخوانه، ولا يستخفى بشىء دونهم.

* وسُئل الحسن يومًا عن مدلول بعض التعبيرات، فقال:

- العقل: حفظ القلب لكل ما استوعبته.

- الإخاء: الوفاء فى الشدة والرخاء.

- المروءة: العفاف وإصلاح المرء نفسه وماله.

- الغفلة: ترك المسجد، وطاعة المفسد.

- الغنى: رضا النفس بما قسم الله لك، وإن قلَّ، فإن الغنى غنى النفس.

- الحلم: كظم الغيظ، وملك النفس.

- الثناء: فعل الجميل، وترك القبيح.

- الغنيمة: الرغبة فى التقوى والزهد فى الآخرة.

- السماحة: البذل فى اليسر والعسر.

- الحزم: طول الأناة، والاحتراس من الناس بسوء الظن.

* وقال بعضهم للحسن ذات يوم:

- إن هؤلاء الشيعة، يزعمون أن عليًا مبعوث الله، قبل يوم القيامة.

فقال الحسن مستنكرًا: كذبوا.. والله.. لو علمنا أنه مبعوث، ما تزوجنا نساءه، ولا اقتسمنا ماله.

(يشير الحسن إلى أن زوجات الرسول.. يحرم عليهن الزواج من بعده وأن الأنبياء لا يورثون) [البداية والنهاية ج٨ ص٤٠٩].

وكان الحسن عالمًا

كان لتربية الحسن فى جو إسلامى خالص بين أبويه وجده، والخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله.. كان لهذه التربية أثر فى أن ينال الحسن فيضًا غزيرًا من العلم، عاش عليه، وبه، رجلاً صالحًا.. مؤمنًا.. عابدًا لله.. قانتًا.

لقد قرأ الحسن القرآن الكريم، وتدبر آياته، ودرس معانيه وأحكامه، فتفتحت أمامه حقائق الكون، فأدرك أن الله هو خالق هذا الكون ومبدعه، ومسيِّره بمشيئته وحكمته وقدرته، فاستطاع الحسن بذلك فهم القرآن وتفسيره، وبلاغته التى عجز عنها البشر.

أدرك الحسن بفكره ودراسته ووعيه كثيرًا من الحقائق التى تحدث عنها القرآن الكريم والتى يجب على كل مسلم أن يعرفها، أدرك حب العدل وكراهية الظلم والجور.. التقوى والصلاح، والبعد عن غواية الشيطان، آمن بالنار للعصاة، والجنة للمتقين الصالحين.. آمن بالثواب والعقاب، والبعث والنشور يوم الحساب، وكلها من الأمور التى إذا أدركها الإنسان ووعاها.. سلم دينه، واتبع طريق الهداية، وابتعد عن غواية الشيطان.

ومن خلال قصص الأنبياء والرسل الذين تحدث عنهم القرآن الكريم، وما أصاب العصاة من سوء، وما حاق بقوم عاد وقوم ثمود، وأحداث قصص آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى.. كل هذه المعلومات، فتحت

أمام عينى الحسن كثيرًا من الحقائق والمعلومات خصوصًا ما يتعلق بالشريعة الإسلامية.

وتفتح قلب الحسن وعقله وفهمه، على كثير من المعلومات الشرعية، وفقه الدين، فكان عالمًا بأركان الصوم والصلاة والزكاة والحج، ودرس العلاقات بين الناس، وما يتصل بها من زواج وطلاق وبيع وشراء، وما يجب أن يكون الجميع عليه من عدل ووفاء وإخلاص وتسامح.

ولقرب الحسن من رسول الله ﷺ وأبويه علىّ وفاطمة، فقد روى الحسن عنهم، وعن الصحابة كثيرًا من الأحاديث النبوية الصحيحة التى رواها عنه أبناؤه وأحفاده من بعده.

وتتلمذ الحسن على يد كثير من الصحابة وعلماء المسلمين فى عهد الرسول ﷺ الذين كان لهم دور كبير فى الإسلام، منهم عبد الله بن مسعود(١).

---

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب من بنى هذيل.. أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، روى أحاديث كثيرة عن رسول الله، وروى عنه آخرون، آخى الرسول بينه وبين سعد بن معاذ، وقال له رسول الله فى أول إسلامه:

- «إنك غلام معلم».

هو أول من جهر بقراءة القرآن الكريم، قال عنه رسول الله ﷺ: «من سره أن يقرأ القرآن غضًا كما نزل، فليقرأه على ابن أم عبد». «عبدالله بن مسعود» اشترك فى فتح الشام، وبعثه عمر بن الخطاب إلى الكوفة، ليعلمهم أمور دينهم. مات قبل مقتل عمر. (الإصابة ج٢ ص٤٩٤).

حلمه والإحسان إلى من أساء إليه

عُرف الحسن بن علىّ بحلمه، وسعة فكره وعقله، وكان يرى أن الإحسان إلى من أساء إليه خير من معاداته، وأن الصفح والتسامح طريق إلى محبة الناس بعضهم لبعض.

ومن خلال دراسة حياة الحسن ومعاملاته مع الناس، نجد عدة نماذج لحلم الحسن.

* * *

كان بين الحسن ومروان بن الحكم[1] خصومة، كثيرًا ما حاول مروان أن يشعلها، لكن الحسن لم يستجب له، بقى على حلمه وحكمته، يردُّ الإساءة بالإحسان، والعنف بالتسامح والعفو.

ذات يوم.. أغلظ مروان للحسن، وأفحش له فى القول، وكان الحسن يستطيع أن يردَّ عليه بكلمات مثلها، ولكن الحسن كظم غيظه، وسكت بين دهشة مروان ومن حوله.

فلما مات الحسن، فوجئ الحسين أخو الحسن بمروان بن الحكم، يبكى على الحسن، بكاءً مرًا، يشعر من يراه بمقدار حزنه على الحسن، ومرارة ما فرط فى حقه، ودهش الحسين، وقال لمروان:

- يا مروان.. أتبكى على الحسن، وكان بينكما ما بينكما من عداء؟!

وشرد مروان بذهنه، كأنما يستجمع أشتات أحداث مضت، وأيقظته كلمات الحسين، فأشار إلى جبل حول المدينة، وقال للحسين:

(١) مروان بن الحكم: سبقت ترجمته.

- لقد كان الحسن أحلم من هذا الجبل!![1].

* * *

كثيرًا ما كان الحسن يتذكر موقف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة.. حين انتصر المسلمون، وحطموا أصنام الكعبة وحولها. يومها نظر الرسول ﷺ إلى رجال قريش الذين آذوه، وعادوه، وحاولوا قتله، ودفعوه إلى ترك بلده.. يومها.. قال لهم رسول الله ﷺ:

- **«ما تظنون أنى فاعل بكم؟»**

هنالك.. وجم رجال قريش، وقد شعروا بسوء ما قدموا، وغلبهم الخوف على أنفسهم، ظنوا أن العذاب لا محالة واقع بهم، فقالوا:

- أخ كريم وابن أخ كريم.

فنظر إليهم رسول الله ﷺ فى حلم وقال لهم:

- **«اذهبوا.. فأنتم الطلقاء»**.

لا شك أن الحسن بن على قد سمع بما حدث فى ذلك اليوم، فقد كان قد جاوز السادسة من عمره، فكان يحاول أن يكون الحلم والعفو عند المقدرة منهجه مع الآخرين، وأن يدفع عن نفسه الغيظ والحنق، على أمل أن يكسب عدوه.

* * *

(١) البداية والنهاية: (٨/ ٤٠٨).

جاء رجل إلى المدينة المنورة، ولم يكن معه زاد ولا راحلة، فاشتكى حاله لبعض من لقيه من أهل المدينة، يرجوهم مساعدته، وأن يهيئوا له زادًا وراحلة، فنصحه بعضهم أن يذهب إلى الحسن بن على، فسيعطيه ما يريد.

كان الرجل على عداء مع علىّ بن أبى طالب، وكان يعارضه، ورفض مبايعته، فكيف يذهب إلى ابنه، يطلب منه زادًا وراحلة؟!

مع هذا.. ذهب الرجل إلى الحسن فى المسجد، وسأله حاجته، فأمر الحسن للرجل بزاد وراحلة.

كان بعض الرجال حول الحسن، يدركون عداء هذا الرجل لعلى، فقالوا للحسن:

- كيف تعطى الرجل زادًا وراحلة، وهو يبغضك، ويبغض أباك؟!

فابتسم الحسن فى سعادة، وقال لمن حوله:

- أفلا أشترى عرضى بزاد وراحلة؟

* * *

وقعت ذات يوم قطيعة بين الحسن وأخيه الحسين، فقال بعضهم للحسين:

- لو أتيت أخاك؟ فهو أكبر منك سنًا؟

فقال الحسين:

- فإن الفضل للمبتدئ، وأنا أكره أن يكون الفضل لى على أخى.

فعلم الحسن بما قاله أخوه، فجاء إليه، وصالحه.

* * *

كان الخلاف واضحًا بنى علىّ بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان، واستمر هذا الخلاف بين معاوية والحسن، كل منهما يريد أن يحظى بالخلافة، لكن الحسن كان يدرك أن خير المسلمين ليس فى قتالهم، فشاء الله أن يقابل إساءة معاوية بالإحسان، فتنازل له عن الحكم وصالحه. لم يدفعه إلى ذلك عجزه، أو ضعفه، وإنما دفعه حلمه، ومقابلة الإساءة بالحسنى، ودرءًا لإراقة دماء المسلمين.

كرم الحسن وجوده

عُرف الحسن بجوده وكرمه والعطف على الفقراء والمساكين والمحتاجين. فقد كان يرى أن الصدقة ستر لصاحبها من النار، وأن الإنسان فى الآخرة، سيستظل فى ظلال صدقاته، وكان يؤمن أن الصدقة دواء للمرض، تأكيدًا لقول رسول الله ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصدقة**».

وكان الحسن يقول للناس:

- الصدقة تدفع عن صاحبها العذاب فى الآخرة، وتجلب له الرزق فى الدنيا، وتيسر له أموره، وتقيه من السوء.

وكان إذا قدم أحد إلى المدينة المنورة، يستعطى الناس، نصحوه أن يذهب إلى الحسن بن علىّ، فما ذهب إليه أحد إلا أعطاه.

ومن خلال حياة الحسن، يمكن أن نستخلص كثيرًا من مواقف كرمه وجوده.. منها ما يلى:

* سمع الحسن رجلاً، يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم.. كان واضحًا أن الرجل فى حاجة إلى هذا المبلغ، لعله كان معسرًا، أو مدينًا

به، يريد أن يفك به عسره، أو يسدد دينه، فتبعه الحسن، وعرف داره، وأرسل إليه المبلغ الذى كان يريده.

* رأى الحسن يومًا غلامًا أسود[١] يأكل من رغيف فى يده لقمة، ويطعم كلبًا لقمة، فسأله الحسن:

- ما حملك على هذا أيها الغلام، تطعم الكلب، وأنت فى حاجة إلى لقيماته؟!

فقال الغلام، وهو ينظر إلى الكلب بشفقة:

- إنى أستحى من الكلب أن آكل، ولا أطعمه.

فطلب الحسن من الغلام ألا يبرح مكانه، وذهب إلى سيد الغلام، واشتراه منه، وأعتقه، وأعطاه دارًا.

* سُئل الحسن بن علىّ يومًا:

- نراك لا ترد سائلاً، ولو كنت على فاقة!!

فقال الحسن:

- إنى لله سائل، والله عوَّدنى ألا يقبض عنى نعمته، وعوَّدته ألا أقبض بنعمه على الناس، فأخشى إن قطعت عادتى، أن يمنعنى عادته.

* اعتاد معاوية بن أبى سفيان أن يرسل مبلغًا كل عام إلى الحسن، ليوزعه على الفقراء، وفى إحدى السنوات.. لم يرسل معاوية مالاً إلى

(١) البداية والنهاية (٨/ ٤٠٧).

الحسن، ففكر الحسن أن يرسل إلى معاوية، يذكره بحقه وماله، فلما نام الحسن فى ليلته، رأى جده رسول الله ﷺ فى حلمه، وقال له:

- يا بنى.. لا تكتب إلى مخلوق بحاجتك.

فقرر الحسن ألا يرسل إلى معاوية، وشاء الله أن يتذكر معاوية واجبه، فبعث بضعف المبلغ إلى الحسن، فقسمه على الفقراء، سعيدًا بما أفاء الله عليه من فضل وكرم.

* ذات عام.. حج الحسن ماشيًا، فلقى بعض الحجاج، وأحس بحاجتهم إلى المال، فأرسل لكل منهم أربعمائة درهم، لكنهم أظهروا له أن ما معهم يكفيهم، وأنهم ليسوا بحاجة إلى مال.. لكنه أصر على أن يقبلوا عطيته.

* ذات يوم علم الحسن بمرض أسامة بن زيد[1]، فزاره، وهو يجود بآخر أنفاسه، فأحس منه حزنًا، بدا فى صوته وعلى وجهه.. فقال له:

- ما يحزنك يا عم؟

قال أسامة:

- علىّ دين مقداره ستون ألف درهم، ولا أتمكن من رده.

(١) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل. ينتهى نسبه إلى امرئ القيس. أمه أم أيمن. حاضنة رسول الله ﷺ. وُلد أسامة فى الإسلام. حينما توفى الرسول كان عمر أسامة عشرين عامًا، فولاه أبو بكر إمارة الجيش المتجه إلى الرومان. اعتزل أسامة الفتن بعد مقتل عثمان ابن عفان. توفى أسامة فى خلافة معاوية سنة ٥٤هـ. الإصابة (١/ ٣٩).

فقال الحسن:

- سأردها عنك.

فقال أسامة، وقد ذهب عنه بعض حزنه:

- فك الله رهانك يا ابن بنت النبى. الله أعلم حيث يجعل رسالته.

* * *

لم يكن الحسن كريمًا، جوادًا بمال فحسب، بل كان أيضًا يجود بوقته، يقضيه فى خدمة طالبى الحاجات من المسلمين، يعينهم على قضاء حوائجهم.

جاء رجل إلى الحسن، يطلب حاجة له، ذكرها له، فخرج الحسن مع الرجل، ليحقق له حاجته، فلما كانا فى الطريق، قال الرجل للحسن:

- يا ابن بنت رسول الله.. أكره أن أثقل عليك فى حاجتى، فقبل أن آتيك، ذهبت إلى أخيك الحسين، فقال لى:

- لولا اعتكافى فى المسجد، لخرجت معك.

فقال الحسن للرجل:

- لقضاء حاجة أخ، أحب إلىَّ من اعتكافى شهرًا فى المسجد.

وكان الحسن يقول لأصحابه:

- إن حوائج الناس إليكم من نعم الله، فلا تملُّوا النعم، فتخور (ترجع) نقمًا[1].

(١) البداية والنهاية (٨/ ٤٠٧).

الباب السابع

حياة الحسن فى أسرته

كانت حياة الحسن فى أسرته صورة للمؤمن الحقيقى المتمسك بأسرته الحامي لها، القائم على رعاية زوجاته وأبنائه وبناته، يهتم بسلوكهم، ويهيئ لهم حياة آمنة، قائمة على المودة والحب والإخاء.

زوجات الحسن وأولاده

أفاض[1] بعض الرواة السابقين، وتشيع لهم بعض الكتاب المحدثين، فزعموا أن الحسن بن علىّ خلال حياته، عُرف بكثرة عدد زوجاته،

(١) تغالى بعض هؤلاء الرواة، ومنهم ابن كثير، والمدائنى فى حصر عدد زوجات الحسن، فزعموا أنهن كن سبعين، أو تسعين زوجة.. بل قال بعضهم: إنهن كن أكثر من مائتين فضلا عمن تزوجهن من المحصنات.

وحاول بعض هؤلاء أن يؤكدوا أكاذيبهم، بأن على بن أبى طالب الذى هو أبو الحسن، حاول كثيرا أن يصرفه عن كثرة الزوجات، فلما لم يستجب له الحسن، صعد على إلى المنبر، وأخذ ينصح الناس ألا يزوجوا بناتهم وأخواتهم للحسن، لأنه رجل مزواج مطلاق، وقال فيما قاله لأصحابه، مستنكرًا على الحسن ما يفعله:

- مازال الحسن يتزوج ويطلق، حتى خشيت أن يورثنا عداوة القبائل.

ولم يكتف هؤلاء بما زعموا، بل ادعوا أن الحسن، حينما توفى، خرج جمع كثير من النساء.. حافيات، حاسرات رؤوسهن، وهن يبكين، وقالوا: إنهن زوجات الحسن.

ونحن نتزه الحسن ابن بنت رسول الله عن هذا السلوك الذى ألصقه به المغرضون، فيكفيه فخرًا أنه حفيد رسول الله ﷺ، وأن الرسول ﷺ ذات يوم، ضمه هو والحسين وعلىّ بن أبى طالب وفاطمة، وقال:

- «اللهم هؤلاء أهلى» ثم قرأ الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. (رواه مسلم ٢٤٢٤، وأبو داود ٤٠٣٢).

ألا فليكف الذين يكتبون قصة الحسن أن يكرروا تلك الآراء الخاطئة، وليتقوا الله فى ابن بنت رسول الله. (المؤلف).

واتهموه بسرعة الزواج والطلاق، وأنه مزواج.. مطلاق، مما أعطى الفرصة للمستشرقين أن ينالوا من سلوك الحسن الاجتماعى، فأساءوا إلى شخصه، ناسين أنه ابن بنت رسول الله، وتربى بين أبوين كريمين، وجده ﷺ خير خلق الله، وأن الحسن واحد من آل بيت رسول الله، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.

كان عليهم أن يتعرفوا الظروف السياسية التى كان يعيشها المسلمون فى تلك الفترة، والتى انعكست آثارها على الظروف الاجتماعية التى سادت المجتمع الإسلامى، فكثير من الرجال قد استشهدوا فى الحروب، دفاعًا عن الإسلام، فتضاعف عدد الأرامل اللاتى كن فى حاجة إلى من يتولى رعايتهن، ومنهن من كن فى حاجة إلى من يحصنهن من الزلل والخطيئة، وكثيرات ممن تزوجهن الحسن كان يريد بهن وجه الله وأن يحصنهن، ليس لمجرد شهوة أو رغبة جنسية.

ومعروف أن الحسن مهما كثر عدد زوجاته، فلم يعرف عنه أنه جمع بين أكثر من أربع زوجات، فهو بذلك لم يشط فى زواجه عن الشريعة الإسلامية، فكيف له بهذا العدد من الزوجات الذى نسبوه إليه، وألحقوه به؟!

ثم إن تعدد الزوجات فى ذلك الوقت، كان أمرًا عاديًا، كل رجل كان متزوجًا بأكثر من واحدة، اقتضت هذا الظروف السياسية، فلم يكن الأمر مقصورًا على الحسن وحده، بل إن على بن أبى طالب نفسه بعد وفاة زوجته فاطمة الزهراء، تزوج بأكثر من واحدة[1]، كانت منهن أسماء بنت

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٧).

عميس زوجة أبى بكر، ومن قبله كانت زوجة جعفر بن أبى طالب، وكانت منهن خولة بنت جعفر بن قيس، والصهباء ورملة.. وغيرهن كثيرات، وأنجب منهن ١٤ ولدًا، و١٧ بنتًا، مما يعنى أن هذا التعدد فى الزوجات كان صورة من صور المجتمع الإسلامى الذى كان يسود تلك الفترة من حياة الدولة الإسلامية.

لم يعرف من زوجات الحسن إلا القليل، لا يزيد عددهن عن خمس عشرة زوجة، كان من أشهرهن: خولة بنت منظور الفزارية، جعدة بنت الأشعث، عائشة الخثعمية، وأم إسحق بنت طلحة بن عبيد الله، وأم بشير بنت أبى مسعود الأنصارية، وهند بنت عبد الرحمن بن أبى بكر، وأم عبد الله بنت الشليل.

وإذا كان الحسن قد تزوج -كما يزعمون- بأكثر من مائة، أو مائتين، فلابد أن يكون قد أنجب ثلاثمائة أو أربعمائة على الأقل.. لكننا إذا أحصينا أولاد الحسن من زوجاته، وجدنا أن عددهم لا يصل إلى عشرين ولدًا، كان من أشهرهم: الحسين، زيد، طلحة، القاسم، أبو بكر، عمرو، عبد الرحمن، الحسن، يعقوب، إسماعيل، حمزة، جعفر، عقيل.

وبهذا.. يتضح أن الحسن بن علىّ، كان يعيش حياته كواحد من المسلمين بعيدًا عن شطط السلوك، متمسكًا بدينه وشريعته، وحسن أخلاقه.

****

الباب الثامن

وفاة الحسن

اعتـزل الحسن خلافة المسلمين، وتنـازل عنها لمعاوية بن أبى سفـيان، مضحيًا بالسلطة والجـاه والعظمة والمال، حقنًا لدماء المسلمين من أن تراق بينهم، وتوحـيـدًا لصفـوفـهم، كى ينصـرفوا إلى توسـيع أمـلاك الدولة الإسلامية.

وعـاش الحـسـن بن علىّ مـا بقى لـه من حـيـاته علـى حب الناس واحـتـرامـهم، عاش كـمـسلم عادى، يقـوم على شـئون دينه، وتعـاليم شريعتـه، يساعد الفقـراء، ويعين طالبى الحاجات على تحقـيق حاجاتهم، ويعظ الناس، ويبذل لهم ما وهبه الله له من علم، خالصًا لله ورسوله.

وسعد الحسن، وهو يتابع أخبار انتصارات المسلمين.. كيف استطاعوا أن يسلكوا طريقهم فى شمال إفـريقيا، وأن يغزوا بلاد الأندلس، ويصلوا إلى أوروبا، فارتفـعت راية الإسلام خفاقـة فى مناطق كثيـرة من العالم، وانتعـشت الحياة الاقتـصادية بفضل مـا يصل إلى المدينة المنورة من غنائم وجزية.

***

ومضت السنون.. ربما كانت تسعًا.

حتى كان ذات يوم..

أصاب السقم جـسد الحسن.. وهن جسمه، شـحب وجهه، وخارت قـواه، أحس أن الآلام أنهكته، وكـاد مـاء الحيـاة أن يجف فى عروقـه،

أعجزه المرض عن أن يزاول حياته كإنسان، أقعده عن الصلاة فى المسجد، فكان يصلى قاعدًا، أو نائمًا، فلزم فراشه لا يبرحه، يدعو الله بلسان رطب، وقلب مؤمن، ونفس طاهرة راضية، ينظر فى الفضاء حوله، فيدرك حكمة الله ومشيئته، تتراءى أمام عينيه الكليلتين صور وذكريات عديدة.

أحس الحسين أخوه، يشاركه أبناء الحسن، ما أصاب الرجل، فأرسلوا إلى طبيب، ليستشف مرضه الذى حاروا فيه، ونظر الطبيب إلى الحسن، وفحصه، فأدرك الحقيقة المرة التى فوجئ بها من كانوا حوله، حين قال لهم الطبيب:

- إن الرجل أعطى السم مرارًا[1].. فى كل مرة كانت أمعاؤه تقاوم السم.. حتى تقطعت، وتسرب السم إلى الكبد، ففتته!!

وشعر الحسين أخوه من كلام الطبيب أن مؤامرة حيكت لأخيه، دون أن يدركها، وتقطعت الآمال التى كان يتشبث بها فى شفاء أخيه،

(١) اختلفت الآراء فيمن قتل الحسن بالسم، قال بعضهم: إنه يزيد بن أبى سفيان، كان يخشى من معارضة الحسن لخلافته بعد موت أبيه، فأوكل إلى بعض أنصاره من خدم الحسن أن يدسوا له السم، مقابل أجر حدده لهم، وفعلوا، وقال آخرون: إن جعدة بنت الأشعث، إحدى زوجات الحسن، اتفقت مع يزيد بن معاوية أن تسم الحسن، حتى يقضى نحبه، ليتزوجها يزيد، فلما فعلت، ومات الحسن، ذهبت جعدة إلى يزيد تطلب منه أن يبر بوعده لها.. فقال لها مستهزئًا:

- إنا والله لم نرضك للحسن، أفنرضاك لأنفسنا.

ونحن لا نملك أن نؤيد أو ننفى إحدى الروايتين، فقد احتفظ الحسن بسره.. لم يبح به لأخيه، أو لأحد آخر، فالله وحده أعلم.

أصبحت مجرد ظلال باهتة، وتردد سؤال فى ذهن الحسين.. ترى من جرَّع الحسن السموم؟

التفت الحسين إلى أخيه، وقلبه يتفطر حزنًا عليه، وحنقًا على من دس له السم، فاستسلم للأمر الواقع، وبدأ يجع شتات نفسه، وقال لأخيه:

- أى أخى.. من صاحبك الذى دسَّ لك السم؟

قال الحسن:

- ولم يا أخى؟

قال الحسين، ولم يستطع أن يمسك دموعه:

- حتى أقتله، قبل أن يهرب بأرض أتكلف اللحاق به.

قال الحسن:

- يا أخى إن الدنيا ليال ذاهبة.. دعه، حتى ألتقى به عند ربى.

ربما كان الحسن يشك فيمن دس له السم، لكنه لا يعلم علم اليقين من هو، ولعل الحقيقة طمست أمام فكره، ولذلك حينما كرر الحسين سؤاله عن صاحبه.. قال له الحسن:

- لئن كان صاحبى.. (فالله أشد بأسًا وأشد تنكيلاً)، وإن لم يكن هو، فما أحب أن تقتل بى بريئًا.

ثم قال الحسن، وقد أحس بدنو نهايته، والكلمات تتقهقر إلى حلقه:

- أخرجونى إلى صحن الدار، أنظر ملكوت الله فى كونه.

وأخرجوا الحسن، فراح ينظر فى السماء، يناجى ربه، يصغى إلى دقات قلبه الواهنة، وينادیه:

- اللهم.. إنى احتسبت عندك نفسى.

طلب الحسن من أخيه الحسين أن يذهب إلى أم المؤمنين السيدة عائشة[١] لتسمح لهم أن يدفنوه بجوار رسول الله وأبى بكر وعمر.

ولعل الحسن كان يدرك صعوبة هذا الأمر، فقال لأخيه الحسين:

- على ألا يختلف المسلمون، فإن كرهوا، فادفنونى فى البقيع بجوار أمى.

فلما كان أحد الأيام[٢] من عام ٤٩هـ، مات الحسن.

---

(١) حاول بعض المغرضين أن يسيئوا إلى السيدة عائشة، فادعوا أنها رفضت دفن الحسن مع رسول الله وصاحبيه، وأنها قالت:

- لن يكون لهم رابع.

والحقيقة أن السيدة عائشة وافقت، فقد كانت تدرك إعزاز الرسول ﷺ للحسن والحسين، ولكن بنى أمية هم الذين تحزبوا فى هذا الأمر، وتسلحوا، وقالوا:

- أيدفن عثمان بن عفان فى البقيع، ويدفن الحسن بن على فى الحجرة؟!

بل إن مروان بن الحكم، حاول أن يتقرب إلى الأمويين، فكان يرفض أن يدفن الحسن فى المدينة المنورة، وطالب بدفنه خارجها، مما دفع بنى هاشم أن يتحزبوا، وأن يلبسوا السلاح، حتى كادت الحرب تشتعل بين الفريقين، ثم كان ما كان مما ارتضاه المسلمون والصحابة.

(٢) لم يحدد المؤرخون اليوم، أو الشهر الذى توفى فيه الحسن، واختلفوا فى السنة، هل هى سنة ٤٩هـ أو سنة ٥٠هـ، أو بعدها، الله أعلم.

وعندما عرض الحسين وصيَّة أخيه، بدفنه بجوار جده رسول الله، رفض كثير من المسلمين، وتسلح بنو أمية للقتال فى مواجهة بنى هاشم، يرفضون دفن الحسن بجوار جده رسول الله. وخوفًا من قيام الصراع والخلاف بين المسلمين.. تنازل الحسين عن تحقيق رغبة أخيه الحسن، واقترح بعض كبار الصحابة منهم جابر بن عبد الله[١]، وأبو هريرة[٢]، أن يدفن الحسن فى البقيع بجوار أمه السيدة فاطمة الزهراء. وقد ازدحم المسلمون، وهم يودعون جثمان الحسن إلى مثواه الأخير، حتى امتلأت ساحة البقيع، وصلى عليه المسلمون ودفن بجوار أمه.

رحم الله الحسن بقدر ما أعطى للإسلام والمسلمين.

****

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام.. من بنى سلمة. شهد بيعة العقبة مع السبعين من الأنصار. وشهد كثيرًا من المشاهد مع رسول الله: غزوة حمراء الأسد، وصلح الحديبية. ومات أبوه فى معركة أحد. مات هو سنة ٧٩هـ وعمره ٩٤ سنة. (الإصابة ج١ ص ٢٧٩، طبقات ابن سعد ج٤ ص ٢٩٢).

(٢) أبو هريرة بن عامر بن كعب، من قبيلة دوس. كان اسمه فى الجاهلية عبد شمس، فسماه الرسول: عبدالرحمن، وكنيته أبو هريرة، وهو أحد رواة الحديث. مات بالعقيق قرب المدينة سنة ٥٧هـ. الإصابة (٤/ ٢٧٥).

ثانيًا:
الحسين بن علي
سيد شباب الجنة وريحانة رسول الله ﷺ

الباب الأول

الحسين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

مولد الحسين

كان ذلك يوم ٤ شوال سنة ٤هـ..

حين اجتمعت بعض النسوة المسلمات فى دار فاطمة الزهراء بنت رسول الله يتحدثن.. كانت منهن فاطمة بنت أسد[١] أم علىّ بن أبى طالب، وأسماء بنت عميس[٢]، وأم الفضل[٣].. كن سعيدات بما حققه المسلمون من انتصارات فى حصارهم ليهود بنى النضير[٤]، فارتفع نجم الإسلام، وكثر عدد المسلمين.

---

(١) فاطمة بنت أسد بن هاشم هى: أم على بن أبى طالب. تولت رعاية الرسول بعد وفاة أمه وجده. أسلمت هاجرت إلى المدينة المنورة. كانت سعيدة بزواج ابنها علىّ من فاطمة الزهراء، لما ماتت.. نزل الرسول ﷺ فى قبرها إكرامًا لها، طبقات ابن سعد (١٠/ ٢١١)، الإصابة (٤/ ٥٠٥).

(٢) أسماء بنت عميس، من بنى تيم، كانت زوجة لجعفر بن أبى طالب، أسلمت مبكرًا وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، استشهد زوجها فى معركة مؤتة، وتزوجها أبو بكر الصديق، ومن بعده على بن أبى طالب (طبقات ابن سعد ج١٠ ص٢٦٥، الإصابة ج٤ ص٣٠٥).

(٣) أم الفضل بنت الحارث: سبقت ترجمتها فى قصة الحسن بن علىّ.

(٤) غزوة بنى النضير، كانت فى شهر ربيع الأول سنة ٤هـ، وسببها أن يهود بنى النضير خانوا العهد الذى تعاهدوا عليه مع رسول الله ﷺ حين حاولوا قتل الرسول بحجر، بينما كان هو فى زيارة لهم لدفع دية رجلين من المشركين قتلا، كان قائد اليهود سلام ابن مشكم، وكان علىّ بن أبى طالب يحمل راية المسلمين، استمر حصار المسلمين لليهود خمسة عشر يومًا، حتى استسلموا على أن يغادروا المدينة، لا يحملون معهم=

وهبت نسمات رقيقة رطبة، تلامس وجوه النساء، فزادتهن انتعاشًا وسعادة، وهن يتذاكرن تلك الأحداث.

كانت أكثرهن سيادة، فاطمة الزهراء، وفاطمة بنت أسد، فقد كان الحديث يدور طويلاً عن دور عليّ بن أبى طالب، فهو حامل لواء المسلمين فى هذا الحصار، وأبلى بلاءً حسنًا، حتى اضطر يهود بنى النضير إلى التسليم والصلح.

ولعل النسوة فى هذه الجلسة، تطرق بهن الحديث عن زميلتهن نسيبة بنت كعب[1] التى كان لها دور عظيم فى معركة أحد، حيث شاركت الرجال الجهاد، وكانت نموذجًا للمرأة الشجاعة المسلمة.

أحاديث كثيرة دارت بين النسوة فى دار فاطمة، وهن تملؤهن الأمانى والآمال، حيث يعرفن أن المسلمين يستعدون لملاقاة قريش، أو لتأديب اليهود فى معارك جديدة.

= إلا حمل إبلهم، وفى هذا الحصار نزل قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

(١) نسيبة بنت كعب: من بنى النجار، وتكنى بأم عمارة، حضرت بيعة العقبة قبل الهجرة، شهدت معركة أحد، وكان معها سقاء، تروى ظمأ الجرحى، فلما سمعت بما حدث لرسول الله.. ألقت سقاءها، وحملت سيفًا، ودافعت عن الرسول، وجرحت، شهدت بيعة الرضوان وحرب اليمامة، حيث قطعت يدها، واستشهد ابنها حبيب بن عاصم. (الإصابة ج٤ ص٥٥٥).

وانتهى النهـار، وطرف من الليل، حين غادرت النسوة دار فـاطمة.. عائدات إلى دورهن، تلتمـع فى عيونهن الفرحة والسـعادة.. آملات فى جلسات جديدة، يعشنها مع فاطمة الزهراء، وأحداث طيبة للمسلمين.

وعادت فـاطمة تستـعيد الكلمـات الحلوة التى يتحـدث بها الناس فى المدينة عن شجاعة زوجها، وبطولته.

فما مضى غير قليل.. حـتى أقبل علىّ بن أبى طالب إلى داره بصحبة سيفه، فجلس إلى زوجه فاطمة، يستروح عندها الأمن والسلامة والهدوء.

مضى الليل إلا أقله، لم يبق منه إلا بعض سويعات، يوشك بعدها أن يشرق ضوء النهـار، حين أحست فاطمة بعلامات المخـاض تهز جسدها، وأنهـا على وشك أن تضع حـملهـا، فـتـشاغلـت فى نفسـهـا ببـعض خواطرها.. تقاوم طلقات المخاض، حتى لا تقلق زوجها، فما مضى غير قليل، حتى وضعت فاطمة مولـودها الثانى، أشرقت به الدار، فسعدت، وسعد علىّ بن أبى طالب سعادة فاضت على كل من حوله.

وأشرق صباح يوم ٥ شوال سنة ٤هـ، وملأ نوره أرجاء المدينة المنورة، وجاء رسـول الله ﷺ، يسعى إلى دار ابنته فاطمـة، ليبارك لها ولزوجـها مولودهما، وسماه الرسول الحسين[١].

(١) هو: الحسين بن علىّ بن أبى طالب بن عبد المـطلب بن هاشم، أمه فاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشـم، وجدته لأمه السيدة خديجة بنت خويلد أولى أمهـات المؤمنين.. روى عن الرسول وعن أمـه كثيـرًا من الأحاديث، وروى عنه أبناؤه وأحفاده من بعده.
الإصابة (١/ ٤٣٣)، البداية والنهاية (٨/ ٥٢٢).

هنالك استيقظ الحسن، وكان ما يزال طفلاً يحبو فى عامه الأول، فأدرك بعض ما يدور فى الدار، ولمح السعادة على وجوه الجميع، فأقبل إلى أخيه الحسين، سعيدًا به، وتلاقت عيونهما.

ترى.. هل كان الحسن والحسين فى هذا اليوم، حين تلاقت عيونهما، يدركان تلك الأحداث التى كتبت عليهما بأن يعيشاها فى مستقبلهما؟!

مواقف للحسين مع رسول الله ﷺ

تتابعت الأيام، والحسن والحسين يكبران فى رعاية أبويهما، وعطف وحدب جدهما رسول الله عليهما، بينما كانت أحداث انتصارات المسلمين تتتابع على أعدائهم من قريش واليهود، تعلن ارتفاع راية الإسلام، واتساع ظلاله.

كثيرًا ما كان على بن أبى طالب يعود إلى داره، بعد كل معركة، أو غزوة[1] فتلقاه زوجه الحبيبة فاطمة الزهراء، وتمسح عنه بعض ما علاه من

(١) فى تلك الفترة من حياة الحسن والحسين، وقعت عدة معارك وغزوات، شارك فيها علىّ ابن أبى طالب ببطولتها، وكان فى بعضها حاملاً لواء المسلمين، مثل غزوة بدر الموعد، أو بدر الثانية فى شهر ذى القعدة سنة ٤هـ بين المسلمين وقريش، وفيها انسحب رجال قريش، يسبقهم قائدهم أبو سفيان بن حرب، ومنها غزوة يهود بنى قريظة فى شوال سنة ٥هـ والتى انتصر فيها المسلمون على اليهود، وأسقطوا حصونهم المنيعة، واضطروهم إلى الجلاء، أو دفع الجزية.
كما اشترك علىّ بن أبى طالب فى كثير من المشاهد مع رسول الله، وكانت له بطولات واضحة فى غزوة الأحزاب، وعمرة القضاء، وفتح مكة، وغزوة تبوك وغيرها، تلك الأحداث التى وقعت، بينما كان الحسن والحسين يعيشان مرحلة طفولتهما، ولعلهما أدركا طرفا منها بما كانا يسمعانه من أحاديث الناس عنها.

تعب الكفاح والجهاد، وتكبر سعادة عليّ، وهو ينظر الابتسامة على وجهى ولديه الحسن والحسين، وقد استقام عودهما كطفلين، يتطلعان إلى المستقبل، يتمناه الجميع لهما فى خير.

بضع سنوات عاشها الطفلان فى حياة جدهما رسول الله، فكانت لهما ذكريات طيبة، كثيرًا ما كان يحلو لهما أن يتذكراها معًا، أو يتذكرها كل منهما، حين تطيب له الذكريات.

ولندع الأحداث تمضى فى المدينة المنورة، كما شاءها الله، وكما يحبها المسلمون والرسول، لتعيش مع الحسين بعض مواقفه مع جده رسول الله.

***

تذكر صفحات السيرة النبوية كثيرًا من المواقف التى وقعت أحداثها بين رسول الله والحسين بن علىّ وبعضها اشترك فيها الحسين والحسن معًا.

وقد أوردنا بعضًا من هذه الأحداث التى عاصرها الحسن وحده، أو الحسن والحسين مع رسول الله فى أول هذا الكتاب[1]، ونورد هنا بعض الأحداث الأخرى والخاصة بالحسين، مما يتسع المقام لذكرها.

***

(١) راجع قصة الحسن والحسين، حينما دخلا المسجد ذات يوم، واخترقا الصفوف، واتجها إلى الرسول، فنزل من على المنبر، وأخذ الحسن والحسين بيديه، ووضعهما بجانبه على المنبر، وكثيرًا من الأحداث الأخرى التى أوردناها فى الحديث عن مواقف فى حياة الحسن والرسول.

ذات يوم، عاد الرسول من سوق المدينة، فأحس فى نفسه هوى لزيارة دار ابنته فاطمة، فذهب إليها، وطرق الباب، فلم يجبه أحد.

دخل الرسول إلى فناء الدار، ونادى، لعله يسمع من يجيب نداءه، وحانت منه التفاتة إلى أحد أركان فناء الدار، فرأى الحسين يبكى.. لعله كان خائفًا، أو جوعان، أو ظمآن، فأسرع إليه والتزمه، وقبَّله بحنان الأبوة وعطفها.

ثم قام الرسول ﷺ إلى شاة كانت بالدار، فمسَّ ضرعها، ودرَّ لبنها، فسقاه للحسين.

بعد حين.. أقبلت فاطمة، لعلها كانت فى السوق، أو لأمر آخر، فما كاد الرسول يراها، حتى عاتبها على ترك الحسين وحيدًا، وقال لها فيما قاله:

- «أما تعلمين أن بكاءه يؤذينى»[1].

***

ذات يوم..

بينما كان بعض المسلمين ينتظرون خروج الرسول.. خرج إليهم ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه الآخر، يلثم الحسن مرة، ويلثم الحسين مرة أخرى، حتى انتهى إلى الناس.

تعجب الحاضرون مما رأوا، وقال له أحدهم: يا رسول الله.. والله إنك لتحبهما.

(١) رواه أحمد ٤/ ١٧٢، والترمذى ٣٧٧٥، وابن ماجة ١٤٤. (البداية والنهاية ج٨ ص٥٧٧).

ابتسم الرسول سعيدًا، وقال للرجل:

- **«من أحبهما، فقد أحبنى، ومن أبغضهما، فقد أبغضنى»**[١].

***

* كان الرسول ﷺ يقول عن الحسن والحسين:

- **«هما ريحانتاى فى الدنيا»**[٢].

* وكان الرسول ﷺ يقول عن الحسين:

- **«حسين منى وأنا من حسين، حسين سبط من الأسباط»**[٣].

***

إن كثيرًا من المواقف تنبئ عن سعادة الرسول ﷺ بحفيديه، وشدة عطفه عليهما، ويكفى أن الرسول ﷺ ذات يوم احتضن الحسن والحسين، وأمهما فاطمة، وأباهما عليًا، وقال عليهما:

- **«هؤلاء أهل بيتى، اللهم فأذهب عنهم الرجس أهل البيت، وطهرهم تطهيرا»**[٤].

***

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه البخارى ٣٧٥٣، والترمذى ٣٧٧٠.

(٣) رواه الترمذى، وأحمد، وابن ماجة.

(٤) رواه مسلم ٦/٢٤٢٤، والطبرانى ٢٦٢١.

وإذا كان المسلمون قد حزنوا على وفاة الرسول، فقد كان الحسين قد اقترب من السابعة من عمره، يدرك ما يدور حوله، ويعيه، فأدرك ما أصاب المسلمين من هول الأحزان، فبكى، وأبكى مَنْ حوله وإن بقيت ذكريات جده، لا تبرح فكره.

****

الباب الثاني

مواقف للحسين مع الخلفاء الراشدين

استقامت حياة المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر الصديق.

كان أبو بكر الصديق قد حضر كثيرًا من مواقف إعزاز الرسول ﷺ لحفيديه، فشاء أن يعوضهما عنه، حبًا، ووفاء، خاصة بالنسبة لأصغرهما الحسين، حتى بعد أن نشأ خلاف بين أمهما فاطمة الزهراء وأبي بكر على أرض كانت لها بخيبر، بقي أبو بكر على عهده ورعايته للحسين، يسعده أن يراه، ويأنس به، حتى توفي أبو بكر، فحزن عليه الحسن والحسين حزنًا أعاد إليهما أحزانهما على جدهما رسول الله ﷺ!!

***

وتولى عمر بن الخطاب إمارة المسلمين في جمادى الآخرة سنة ١٣هـ، وكان الحسين قد بلغ التاسعة من عمره، أو كاد.

ذات يوم.. ذهب الحسين إلى مسجد رسول الله ﷺ كما اعتاد أن يفعل، فأدهشه أن يرى عمر بن الخطاب فوق المنبر، يخطب في الناس، لقد اعتاد الحسين أن يرى جده، ومن بعده أبا بكر الصديق، فلم يتمالك الحسين نفسه، وصعد المنبر، وقال في براءة الطفولة لعمر:

- أنزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك!!

لا شك أن الحاضرين كانت دموعهم أسرع من دهشتهم، حين رأوا الحسين، وسمعوا كلماته.

هنالك أقبل عمر على الحسين، وقبله، وتذكر رسول الله، فانهمرت الدموع فى عينيه، وهو يحاول أن يهدئ ما بدا على وجه الحسين، وقال له فى أبوة بالغة:

- لم يكن لأبى منبر.

وأسرع عمر، فأخذ بيد الحسين، وأجلسه بجانبه، كما كان يفعل معه جده رسول الله ﷺ، وكان مع الحسين بعض حصوات يقلبها بين يديه، فانصرف إليها، كأنما أحس أنه عبر عما فى نفسه، فلم تستمر جلسته طويلاً، حتى نزل، وأسرع إلى داره، تسبقه طفولته.

وعلى مدى أكثر من عشر سنوات هى خلافة عمر بن الخطاب، كان عمر يضاعف إعزازه وتكريمه للحسين أكثر من ابنه عبد الله!! خصوصًا بعد أن تزوج من أختهما أم كلثوم بنت علىّ، وكان الحسين فخورًا بما سمعه عن انتصارات المسلمين فى الشام والعراق فى عهد عمر.

كان الحسين بن علىّ قد بلغ الثامنة عشرة من عمره، وحين علم بمقتل عمر، بكى عليه طويلاً.. بكاءً أعاد إلى ذاكرته يوم وفاة جده رسول الله ﷺ، لكنه أدرك أن هذه طبيعة الحياة التى يعيشها الناس جميعًا فى هذه الدنيا.

***

حينما تولى عثمان بن عفان إمارة المسلمين، كان الحسين قد صار شابًا، يدرك ما يدور حوله من أحداث يعيشها المسلمون فى تلك الفترة،

عاش مع المسلمين سعادتهم بانتصارهم، واتساع الدولة الإسلامية فى شمال إفريقيا، والأندلس، حتى كانت الثورة على عثمان بن عفان.

ومما يذكر للحسين أنه اشترك فى الدفاع عن عثمان ضد الثوار عليه، تلك الأحداث التى انتهت بقتله، فساءه ما أصاب المسلمين من فتن وثورات، كانت لها تأثيرات على الجميع.

****

الباب الثالث

الحسين في خلافة أبيه علىّ

كان على بن أبى طالب فى المدينة المنورة، حين بايعه المسلمون خليفة عليهم، وتتابعت المبايعة من كثير من أهل الأمصار الإسلامية: فى مصر والعراق واليمن، إلا أن معاوية بن أبى سفيان رفض بيعة علىّ، وحرَّض أهل الشام -وكان واليًا عليهم- على الوقوف معه، ومعارضة خلافة علىّ.

هنا.. أحسَّ الحسين.. أن العداء بدا سافرًا بين أبيه ومعاوية بن أبى سفيان.. هذا العداء الذى أعاد إلى ذهن الحسين، صورة العداء القديم الذى كان يسمع عنه.. العداء بين هاشم بن عبد مناف (ومعروف أن هاشمًا هو جد علىّ بن أبى طالب) من جهة، وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (ومعروف أن أمية هو جد معاوية) من جهة أخرى، وقد انتهى الأمر بانتصار هاشم على أمية، وفر أمية إلى الشام، واستقر هناك، حتى تحين له ولبيته العودة إلى مكة.

ثم كان العداء بين أبى سفيان[١] الذى هو أبو معاوية، وبين رسول الله محمد بن عبد الله، وما كان من مواقف لأم جميل[٢] وعدائها للرسول

(١) هو أبو سفيان بن حرب بن أمية.. ولد قبل الرسول بعشر سنوات، عرف برغبته فى السيطرة والزعامة والفخر، كان قائدًا لكثير من قوافل التجارة، وحينما أدرك أن الرسالة المحمدية صورة من صور قيادة بنى هاشم، عمل كل ما فى وسعه لمعارضة محمد ودينه ومن اتبعوه، أسلم يوم فتح مكة، واشترك مع المسلمين فى حروب الشام. مات سنة ٣٣هـ فى خلافة عثمان بن عفان. (رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا (١/ ٩٧))

(٢) أم جميل بنت حرب، أخت أبى سفيان، كانت زوجة أبى لهب. عرفت بكراهيتها وإيذائها لرسول الله، وأصرت على أن يطلق ابناها عتبة ومتعب رقية وأم كلثوم ابنتى=

بتحريض من أخيها أبى سفيان، ليكون هذا صورة من العداء بين بنى أمية وبنى هاشم.

ثم تلك العداوة البغيضة التى تزعمها أبو سفيان لمحمد والإسلام والمسلمين، وقيادته لكثير من المعارك التى خاضها رجال قريش ضد المسلمين فى بدر وأحد والخندق.. وغيرها، وتحريض اليهود على قتال المسلمين، لم يكن هذا كله.. إلا صورة من رغبة أبى سفيان فى الزعامة، وحبه للسيطرة، وكراهيته لبنى هاشم، فقد أحقده أن تكون الرسالة لمحمد، واحد منهم وليس من بنى أمية، فلم يترك أبو سفيان طريقًا للنيل من محمد إلا سلكه.

لما بايع المسلمون عليّاً خليفة لهم.. رفض معاوية بن أبى سفيان أن يعترف بخلافة علىّ، حتى لا تنتقل السلطة من قبضة بنى أمية (فى فترة خلافة عثمان) إلى بنى هاشم إن قُدر لعلى أن يحسم الأمر لنفسه بالخلافة.

ووجد معاوية الفرصة مواتية له أن يستأثر بالخلافة لنفسه، ويحرم منها علىّ بن أبى طالب، بل لعلها فرصة لنقل ميزان القيادة والحكم من بنى هاشم إلى بنى أمية، وهو ما كان يصبو إليه أبوه طوال عمره.

= رسول الله، حتى تشغله، كما توهمت عن دعوة الإسلام. فيها أنزل الله قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٤، ٥] (رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا جـ ١ ص ٩٧)

ووجد أبناء على بن أبى طالب: الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية أن من واجبهم أن يقفوا بجانب أبيهم، ويناصروه، وانضم إليهم أتباع علىّ فكانت معركة صفين.

فى صفين.. انتصر على بن أبى طالب ورجاله. وكاد الأمر ينتهى عند هذا الحد.. إلا أن أنصار معاوية طلبوا التحكيم بين الفريقين.

رفض بعض أنصار علىّ مبدأ التحكيم وأصروا على استمرار القتال. عُرف هؤلاء بالخوارج.

كان من الممكن أن ينجح علىّ، ومعه الحسين، لولا ما حدث فى معركة صفين، والتحكيم، وخديعة عمرو بن العاص، الأمر الذى انتهى بخروج طائفة الخوارج على علىّ بن أبى طالب، وانفرط عقد أنصار علىّ فى العراق، لقبوله شروط التحكيم، ثم انتهى الأمر بقتل علىّ على يد أحد الخوارج، لتبدأ مرحلة جديدة فى التاريخ، يكون الصراع فيها بين طرفين: هما معاوية بن أبى سفيان والحسن بن علىّ.

****

الباب الرابع

الحسين فى خلافة أخيه الحسن

أثار قتل علىّ بن أبى طالب ثورة فى نفوس أصحابه، والمؤيدين لخلافته، فقد خلا الميدان لمعاوية، وكان أكثر الناس حزنًا على علىّ، أهل العراق، فقد أحسوا أنهم أخطأوا فى حقه، وخذلوه، حين خرج عليه بعضهم، وكان قاتله أحد هؤلاء الخوارج!!

كان كثير من المسلمين -إلا ما كان من أهل الشام- يرفضون خلافة معاوية بن أبى سفيان، فعرض هؤلاء على الحسن أن يبايعوه، فبايعه أهل العراق وفارس ومصر والحجاز، رافضين بيعة معاوية.

لا شك أن الحسين كان سعيدًا أن يبايع المسلمون أخاه الحسن خليفة لهم، انتصارًا لأبيه، ومن أجل هذا كان الحسين يشجع أخاه على الثبات، ويقف بجانبه.

ورضى الحسن بما أراده منه المسلمون، واستعد لمواجهة معاوية، لكن تباشير الخلاف بين أنصاره بدت فى مراحل كثيرة بعد ذلك، حين تفرق عنه بعضهم، وثار عليه آخرون، وحاولوا الفتك به، ربما كان ذلك بتحريض من أنصار معاوية، وما حاكوه له من دسائس، أعجلت الحسن إلى أن يفكر فى الصلح مع معاوية، فقد عرف عن الحسن سماحته، يكره المنازعات والقتال والشقاق، ويجنح إلى السلم ويميل إلى المصالحة.

لذلك فكر الحسن فى الصلح مع معاوية، تجنبًا لمزيد من الخلافات، وحقنًا لدماء المسلمين، ودرءًا للصراع بينهم، وحتى لا يتوقف المسلمون عن توسيع أملاك الدولة الإسلامية.

فلما أخبر الحسن أخاه الحسين بما انتواه من صلح مع معاوية.. ثار الحسين على أخيه، ورفض هذا الصلح، ووجده صورة من صور التخاذل والضعف لأخيه، وعارضه، وحثه على الاستمرار فى قتال معارضيه، حتى كاد النزاع والفرقة والقطيعة تقوم بين الأخوين، حين قال الحسن لأخيه الحسين:

- والله.. لقد هممت أن أسجنك فى بيت، وأطين على بابه، حتى أقضى بشأنى هذا، وأفرغ منه، ثم أخرجك[١].

واضطر الحسين -على كره منه- إلى قبول الأمر الواقع، الذى ارتضاه أخوه، فلم يعد يراجعه، فقد كان الحسين يكن لأخيه الحسن الاحترام، كتم الحسين غيظه، ويعلم الله ما فى نفسه من حسرة على أخيه، وحنقه على معاوية، مما سيكون لهذا آثاره البعيدة بعد ذلك.

ومضت السنوات والحسن والحسين يعيشان، كما يعيش باقى المسلمين، واستمر معاوية على عهده لهما، وإكرامهما، واحترامه لمكانتهما، يبعث إلى كل منهما بحقه من بيت المال، لينفقه على من يشاء من الفقراء والمحتاجين.

وشارك الحسين فى الحملة لفتح القسطنطينية[٢]، وناضل مع يزيد[٣] ابن معاوية، حتى سقطت عاصمة الرومان.

(١) البداية والنهاية جـ ٨ ص ٥٢٤.

(٢) فى حديث لرسول الله أنه قال: (أول جيش يغزو مدينة قيصر، مغفور له) رواه البخارى ٢٧٨٨، ومسلم ١٩١٢. (البداية والنهاية جـ ٨ ص ٦٠٠).

(٣) هو يزيد بن معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية. أمه ميسون بنت مخول بن أنيف من بنى حارثة الكلبى، يقال: كان مولده سنة ٢٥هـ أو سنة ٢٦هـ. بويع =

ثم مات الحسن، وكان ما كان من أمر بنى أمية الذين تحزبوا، وتسلحوا فى مواجهة بنى هاشم، يمنعون الحسين أن يدفن أخاه الحسن بجوار جده رسول الله ﷺ، ليدفنه بجوار أمه فى البقيع.

صور كثيرة، وأحداث عاشها الحسين بعد وفاة أخيه، وإن بقى معاوية على عهده ووفائه للحسين.

****

= بالخلافة فى حياة أبيه، وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه فى رجب سنة ٦٠هـ. كان ضخم الجسم واللحم طويل القامة.. كثيف الشعر.. وفى عهد خلافته، قتل الحسين بن علىّ، فندم يزيد على قتل الحسين وآله، وحزن، ولام قاتليه، فقد كان يكن له احترامًا، مات يزيد بإحدى قرى دمشق بالشام فى شهر ربيع الأول سنة ٦٤هـ وقد جاوز الأربعين من عمره. (البداية والنهاية جـ ٨ ص ٥٩٧ -ص ٦٠٧).

الباب الخامس

صفات الحسين وأخلاقه

الحسين غصن من أغصان دوحة مباركة.. غرسها رسول الله ﷺ.. طاب أريج عطرها، واتسعت ظلالها.

إنه سليل بنى هاشم.. أبوه على بن أبى طالب، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله، وجده خير خلق الله محمد بن عبد الله ورسوله، وجدته لأمه خديجة بنت خويلد، أولى أمهات المسلمين.. بشبرهم الله جميعًا بالجنة، فهو خيار من خيار من خيار.

وقد كان لمنبت الحسين ونشأته فى رحاب جده رسول الله ﷺ، وأبويه الكريمين، وصحابة رسول الله ﷺ.. أثر فى تكوين شخصيته وصفاته وأخلاقه.

وفيما يلى نستعرض بعضًا من صفات الحسين وأخلاقه التى جعلته نموذجًا لما يجب أن يكون عليه كل مسلم.

شجاعته

عُرف الحسين بشجاعته وفروسيته التى تقوم على المروءة والشهامة والوفاء، لا على التعالى والخيلاء.

يذكر التاريخ للحسين بن علىّ موقفه البطولى، فرغم ما عُرف عن يزيد بن معاوية إلا أن الحسين انضم تحت لوائه فى جيش المسلمين لفتح القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية فى ذلك الوقت، وشجع كثيرًا من سادات أبطال المسلمين مثل: ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبى أيوب الأنصارى، على الاشتراك فى هذا الجيش، فقد كان الحسين يدرك

أهمية فتح المسلمين لعاصمة روما، وكان يعلم أن الرسول ﷺ قال ذات يوم لأصحابه:

- «أول جيش يغزو مدينة قيصر، مغفور لهم».

فكان للحسين شجاعات وبطولات فى هذا الجيش مما كان لها الأثر الكبير فى تحقيق النصر، ولم يتعاظم أو يتكبَّر أن يكون جنديًا فى جيش يقوده يزيد، إنها سلامة للإسلام وانتصاره.

تقوى الحسين وورعه

عُرف الحسين بتقواه وورعه، فهو قائم على الصلاة: فرائضها ونوافلها.. خاشع لله فى صلاته، أحد رواد المساجد الذين ينتظرون الصلاة بعد الصلاة، كثيرًا ما كان يعتكف فى المسجد عابدًا لله، بعيدًا عن سحر الدنيا، راغبًا عن متعها، خالصًا لله.. بعيدًا عن اللجاجة والمكابرة والجدال.

وعُرف الحسين بمواعظه الدينية التى كان يلقيها على المسلمين فى المسجد، يفقههم فى شئون دينهم، ويرشدهم إلى ما غمض عليهم من أمور الحياة، ويناقشهم مشاكلهم وآمالهم.

وكان الحسين عالمًا

عُرف الحسين بغزارة علمه، وتفقهه فى شئون دينه.

جاء أعرابى إلى مكة ذات يوم، ودخل المسجد الحرام، يبحث عن إجابة لسؤال له، فنصحوه أن يذهب إلى الحسين بن علىّ، إنه سيجد إجابة لسؤاله عنده.

كان الحسين يصلى، فلما انتهى من صلاته، تقدم الرجل إليه، وقال له:

- إنى جئتك من الهرقل والجعلل والأيتم والهمهم.

دُهش الذين كانوا حول الحسين من هذه الكلمات الغريبة عليهم، التى ينطقها الرجل، وحاولوا أن يصرفوه، لكن الحسين ابتسم، وقال للأعرابى:

- يا رجل.. لقد تكلمت بكلام ما يعقله إلا العالمون.

فقال الأعرابى:

- فهل أنت مجيبى على كلامى؟

فقال الحسين:

- إنك جئت من عند هرقل ملك الروم؛ حيث قصار النخيل، والنبات، والقليب[1] الغزير الماء، وهذه الكلمات أوصاف للبلاد التى جئت منها.

فقال الأعرابى:

- ما رأيت أفصح من الحسين منطقًا.

وعُرف عن الحسين، تفقهه فى لغته وفصاحته، وكثيرًا ما كان الشعراء يلجئون إليه، إما رغبة فى الاستزادة من علمه، أو طمعًا فى ماله، فضلاً عن بلاغته فى الخطابة، وطلاقة لسانه، وسحر بيانه، وحسن إلقائه.

(١) القليب: البئر قبل أن تطوى. (مختار الصحاح ص ٥٤٠).

وفاؤه للعهد

عُرف الحسين بوفائه لأصحابه، وللعهد الذى تعاهد عليه معهم.

* فبعد أن تنازل أخوه الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان، حاول بعض الناس أن يخرج الحسين على معاوية، ويلغى العهد الذى عاهده عليه أخوه الحسن، وحرَّضوه على خلع معاوية، لتئول إليه الخلافة، على أنه أحق بها من معاوية، ولكن الحسين رفض، وقال لهم:

- إن بينى وبين الرجل (يقصد معاوية) عهدًا وعقدًا، لا يجوز أن أنقضه.

* وكان الحسين يحترم أبا هريرة ويقدره.

علم الحسين ذات يوم أن معاوية أمر بإخراج أبى هريرة من المدينة[1]، فعزَّ على الحسين ما حدث لأبى هريرة، فقد كان يدرك ما أصابه من ظلم، وإهدار لكرامته كرجل علم وفقه ودين.

---

(١) مما يُروى عن أسباب النزاع بين معاوية وأبى هريرة: أن معاوية اعتاد أن يعزل أبا هريرة عن ولايته على المدينة، ويولى مكانه مروان بن الحكم.
وذات يوم.. بعث معاوية إلى أبى هريرة مبلغًا من المال، فلما كان الغد، طلب معاوية من أبى هريرة إعادة المال إليه، وقال له: لقد حدث خطأ، ولم يكن هذا المال مالك، ولكنه كان لغيرك، ولم يستطع أبو هريرة أن يعيد إليه المال، لأنه كان قد تصدق به على الفقراء.
وكثيرًا ما كان معاوية ينتقد أبا هريرة فى بعض الأحكام الشرعية التى يفتى بها مثل: من أكل ناسيًا وهو صائم، فليتم صومه.

ذهب الحسين إلى أبى هريرة وواساه، وخفف عنه ما كان يعانيه، وقال له:

- يا عـمـاه.. إن الله قادر على أن يغـيـر مـا تراه، وكل يوم هو فى شأن، وقد منعك القوم دنياهم، ومنعـتهم دينك، وما أغناك عما منعوك، وأحوجـهم إلى ما منعـتهم، فاسـأل الله الصبر، واسـتعـذ به من الجشع والجزع، فـإن الصبر من الديـن.. وإن الجشع لا يقدم رزقًـا، والجزع لا يؤخر أجلاً.

كرم الحسين

عُرف الحسين بجـوده وكرمه، وتعففه عن الآخـرين، وكان معاوية بن أبى سفيان يعلم شدة كرم الحسين.

* ذات يوم بعث مـعـاوية بهـدايا إلى وجـوه أهل المدينة من كـسـاء وطيب، فقال لمن أرسل معهم الهدايا:

- إن شئـتم أنبأتكم بما سـيكون من أمر القـوم معكم، حـين تصلهم الهدايا.. أما الحـسن، فلعله يعطى نساءه شيئًا من الطيب، وأمـا الحسين فسيبدأ بالأيتام ممن قتل مع أبيه بصفين.

* وذات يوم كثرت ديون الحسين، وعجز عن سدادها، وكانت له عين ماء ورثها عن أبيه، فعرض عليه معاوية أن يأخذ مائتى ألف درهم، ليسدد بها دينه مقابل أن يأخذ معاوية عين الماء، لكن الحسين رفض هذه المقايضة وأبقى على عين الماء، ليكون ماؤها صدقة لفقراء المدينة.

حُسْن أدبه وذوقه

ذات يوم..

رأى الحسين هو وأخوه الحسن رجلاً يتوضأ. كان الرجل لا يحسن وضوءه، فاقتربا منه، وقالا له فى أدب:

- يا سيدى.. نحن مازلنا صغيرين، وأنت رجل أعلمنا بشئون ديننا من وضوء وصلاة، فانظر إلى كل منا وهو يتوضأ، وأخبرنا أينا أحسن وضوءًا من الآخر.

ورضى الرجل أن يكون حكمًا بين الحسن والحسين.

وتوضأ الحسن، ومن بعده الحسين، وكانا فى وضوئهما متساويين فى كل مراحله، من حيث الترتيب وإسباغ المياه عليهما.

وأحس الرجل من وضوئهما أنه هو الذى يتوضأ وضوءًا غير صحيح.

وهكذا استطاع الحسن والحسين بأدبهما وذوقهما أن يعلما الرجل الوضوء الصحيح، دون حرج له.

هكذا.. كان الحسن وأخوه الحسين على خير الأخلاق وحسن الصفات.

****

الباب السادس

الصراع بين الحسين وبنى أمية

النزاع بين الحسين ومعاوية

كان ذلك سنة ٥٩ هـ حسب تقدير الأحداث.

أحس معاوية بن أبى سفيان باقتراب موعد نهاية حياته، فدعا إليه ابنه يزيد، وقال له:

- يا بنى: إنى كفيتك الرحلة، ووطَّأت لك الأشياء، وذلَّلت لك الأعزاء، وأخضعت لك أعناق العرب، وإنى لا أتخوف أن ينازعك على هذا الأمر أحد، إلا أربعة نفر: الحسين بن على، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبى بكر.

هنالك.. تذكر معاوية رغبة أبيه فى السلطة، وصراعه الطويل مع بنى هاشم (علىّ والحسن) عليها، واستئثاره بالخلافة، وتناسى معاوية الشرط الذى تعاهد عليه مع الحسن بن علىّ، حين تصالحا، وهو أن تكون الخلافة من بعده شورى بين المسلمين، يختارون من يشاءون، وقد مات الحسن، فلماذا لا يتحلل معاوية من عهده، ويجعل الخلافة من بعده لابنه يزيد، لتكون الخلافة إرثًا، تورث من بعده فى أسرة بنى أمية الذين حرموا منها طويلاً!!

لذلك جمع معاوية أنصاره، وطلب منهم مبايعة ابنه يزيد للخلافة من بعده، وأن يأخذوا البيعة له من المسلمين فى الأمصار المختلفة، ووافق هؤلاء المقربون من معاوية على هذا الرأى، فقد وجدوا فيه فرصة لاستمرارهم فى مناصبهم.

كان على معاوية أن يرسل إلى المدينة المنورة، ليبايع أهلها يزيد، ومنهم الحسين بن علىّ، لكنه كان يدرك ما سيقابله من معارضة من الحسين ورجاله.

بعث معاوية إلى عامله على المدينة مروان بن الحكم[١]، يطلب منه أن يأخذ البيعة من أهل المدينة المنورة لابنه يزيد، ليكون خليفة على المسلمين من بعده.

أدرك مروان بن الحكم بخبرته ما فى نفوس أهل المدينة، أنهم سيرفضون هذه البيعة، فأبى أن يعرضها عليهم.. بل إنه حرَّض الناس على عدم البيعة ليزيد، وقال لهم:

- أتبايعون يزيد، ونحن نعلم عنه عبث الشباب، ومجونه، وسوء أخلاقه؟!

وحاول مروان أن يثنى معاوية عما أراد، ولعله فى رسالته إليه ذكَّره بعهده مع الحسن بن علىّ، أن تكون الخلافة من بعده شورى بين المسلمين، وما يطلبه معاوية، يعارض هذا الشرط[٢].

---

(١) مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو ابن عم عثمان بن عفان. قرَّبه عثمان إليه، لما حوصر عثمان فى داره، دافع عنه مروان، وجرح. اشترك مع جيش الزبير وطلحة فى قتال علىّ بن أبى طالب، فلما انتصر علىّ فى معركة الجمل، بايع علياً، ولما تولى علىّ الخلافة، جعله والياً على المدينة المنورة سنة ٢٤هـ. مات مروان سنة ٦٥ هـ وعمره ٦٤ سنة، طبقات ابن سعد (٧/ ٣٩).

(٢) يذكر بعض المؤرخين أن مروان بن الحكم، كان يتطلع إلى أن يكون خليفة للمسلمين بعد معاوية، ولذلك لم يشجع على البيعة ليزيد.

حقد معاوية على رسالة مروان، وأمر بعزله من ولايته على المدينة، وعين سعيد بن العاص[١] واليًا عليها.

عرض سعيد بن العاص على أهل المدينة، بيعة يزيد بن معاوية، ولكنهم رفضوا هذه البيعة، فقد أدركوا أنها بداية لتوريث الخلافة فى بنى أمية، صورة من صور البدعة التى يرفضها الإسلام، والتى لم تكن معروفة من قبل، فجميع الخلفاء بعد الرسول ﷺ، تولوا الخلافة بالاختيار والشورى، لا بالتعيين، حتى حينما اختار عمر بن الخطاب من يخلفه، لم يختر واحدًا، وإنما اختار ستة من الصحابة، ليختار المسلمون واحدًا منهم.. وإذا كان معاوية قد انتصر على علىّ وابنه الحسن، واستأثر بالخلافة على كره من كثير من المسلمين، فليس من حقه أن يفرض ابنه خليفة على المسلمين من بعده!!

إن ما يريده معاوية، صورة من الصور التى يتبعها قياصرة الرومان، وأكاسرة الفرس، وهذا لا يتفق مع طبيعة النفس العربية التى تأبى إلا الحرية، وترفض الخضوع والسيطرة فضلاً عن أن هذا لا يتفق مع أصول الشريعة الإسلامية.

---

(١) سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، فهو أموى، قتل أبوه فى معركة بدر. ذكره بعض الرواة من الصحابة، وأنه اشترك فى جمع القرآن الكريم. قاد جيش المسلمين فى طبارستان. ولاه عثمان على الكوفة، فأضر بأهلها، حتى اشتكوا منه. اعتزل الخلاف بين علىّ ومعاوية. لما تولى معاوية الخلافة جعله واليًا على المدينة، ثم عزله منها، ثم أعاد توليته عليها بعد عزل مروان بن الحكم. مات بالعقيق من ضواحى المدينة المنورة. [طبقات ابن سعد، طبعة النشرتى (٥/ ٣٢)، الإصابة (٢/ ١٦٩)].

تحزَّب أهل المدينة على رفض البيعة ليزيد، يتقدمهم الحسين بن علىّ، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر[١]، وعبد الله بن عباس[٢]، وعبد الرحمن بن أبى بكر[٣].

بعث سعيد بن العاص إلى معاوية، يخبره بما حدث، ويرجوه أن يترفق بالحسين بن علىّ، لما يحظى به من حب ومودَّة عند المسلمين، ونصح سعيد بن العاص معاوية ألا ينال الحسين بمكروه لقرابته من رسول الله، ولعله أخبره بأن المسلمين فى المدينة يرفضون يزيد خليفة عليهم، ويرغبون فى الحسين، على أنه أحق من يزيد.

***

(١) عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، سبقت ترجمة لهما فى قصة الحسن بن علىّ.

(٢) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم: أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث أخت ميمونة بنت الحارث إحدى أمهات المؤمنين، فهو ابن عم رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، حينما كان بنو هاشم محاصرين فى شعب أبى طالب. ضمه الرسول ﷺ إلى صدره، وقال: «اللهم علمه الحكمة» شهد فتح مكة وحنينا وحصار الطائف وحجة الوداع. كان يعرف بحبر العرب، وكان يجيد علم التأويل. اشترك فى فتح شمال أفريقيا مع عبد الله ابن أبى السرح. عاش بالبصرة، وكان يخطب فى الناس، عرف بتفقهه فى الدين، وكان معاوية بن أبى سفيان يجله ويحترمه. مات بالطائف سنة ٦٨ هـ وعمره ٦١ سنة.
[الإصابة (٢/ ٤٤٥)، البداية والنهاية (٨/ ٦٦٥)].

(٣) عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق: أمه أم رومان. فهو شقيق السيدة عائشة أم المؤمنين. حارب مع الكفار فى معركة بدر، وكان أبوه أبو بكر يريد أن يقتله، ولكن الرسول ﷺ منعه. أسلم قبل فتح مكة، وهاجر إلي المدينة المنورة واشترك فى حروب الردة، وهو الذى قتل محكم بن الطفيل صديق مسليمة الكذاب. شهد فتح الشام، وحاول معاوية أن يسترضيه لمبايعة ابنه يزيد، فبعث إليه بمائة ألف درهم، ولكنه رفضها. مات خارج مكة، ودفن بها سنة ٥٨ هـ قبل وفاة معاوية.
[البداية والنهاية (٨/ ٤٦١)، رجال حول الرسول، ص ٣٢٩)].

جاء معاوية إلى مكة، يدعو لبيعة يزيد، ويحاول أن يسترضى الناس، ليوافقوا، ولكنه وُوجه بمعارضة شديدة من عبد الله بن الزبير الذى قال لمعاوية:

- اصنع كما صنع رسول الله.. لم يستخلف أحدًا من بعده، وترك الأمر شورى بين المسلمين، وكذلك فعل الخلفاء من بعده، تركوا الأمر شورى بينهم.

وحاول معاوية أن يثنى عبد الله بن الزبير عن موقفه، ولكنه أبى إلا أن تكون الخلافة شورى بين المسلمين جميعًا.

وقال عبد الرحمن بن أبى بكر لمعاوية:

- لقد جعلتموها هرقلية وكسراوية (أى بالوراثة.. ملكية مثل قياصرة روما، وأكاسرة الفرس).

أحس معاوية بما سيلقاه ابنه يزيد من معارضة، فلما حضرته الوفاة، بعث إليه، وقال له:

- أما الحسين بن على، فلن يتركه أهل العراق، حتى يبايعوه عليهم، فإن ظفرت به، فاصفح عنه، فإن له رحمًا وحقًا علينا، وأما عبد الله بن الزبير، فإذا تمكنت منه، فلا تدعه، إلا أن يلتمس منك صلحًا، فإن فعل فاقبل منه، واحقن دمه ما استطعت، وأما عبد الله بن عمر، فإنه رجل عبادة، فإن لم يبق أحد غيره، فسيبايعك.

لم يذكر معاوية لابنه يزيد أمره مع عبد الرحمن بن أبى بكر، فقد توفى قبل وفاة معاوية.

صراع الحسين مع يزيد بن معاوية

توفى معاوية بن أبى سفيان فى رجب سنة ٦٠ هـ.

ما كاد يزيد يتولى الخلافة بعد وفاة أبيه، حتى أدرك صعوبة ما يواجهه من رفض أهل الحجاز الذين يتزعمهم الحسين بن على، وعبد الله بن الزبير.

تذكر يزيد كلمات أبيه له، وهو يصارع الموت، وما نصحه به نحو كل من الحسين وابن الزبير.

لذلك بعث يزيد برسالة إلى واليه فى المدينة المنورة، وهو الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، يطلب منه أن يلتقى بالحسين وابن الزبير، ويطلب منهما وأنصارهما مبايعة يزيد، ونسى يزيد، وقد غمرته الفرحة، صعوبة الأمر، ووصية أبيه له نحو الحسين، فطلب من واليه أن يقاتلهما إذا رفضا البيعة!!

كان الوليد بن عتبة فى حيرة، ماذا يفعل، وهو يدرك صعوبة الموقف عليه، وما قد يحدث من صدام بينه وبينهما، لذلك بعث مروان بن الحكم إلى الحسين، يطلب منه البيعة ليزيد، ولكن الحسين رفض هذه البيعة، كما رفضها ابن الزبير، واتجه كل منهما إلى مكة.

هنا انفتح باب الصراع بين الحسين ويزيد على مصراعيه، وكان من الطبيعى ألا يستطيع الوليد أن يقاتل الحسين وأنصاره، فقد كان يدرك عاقبة ذلك.

وفود أهل العراق لبيعة الحسين

كان أهل العراق غير راضين عن حكم يزيد بن معاوية، وكانوا يرون أن الحسين بن على أفضل منه، ليكون خليفة عليهم، ولعلهم أرادوا أن يكرموا الحسين، بعد أن أخطأوا فى حق أبيه علىّ وأخيه الحسن. . لذلك بعث كثير من أهل الكوفة بكتب ورسائل إلى الحسين، يبايعونه خليفة عليهم، وقالوا له فى رسائلهم وكتبهم:

- إننا حبسنا أنفسنا عليك، فاقدم علينا، نبايعك.

مئات الرسائل بعث بها الناس فى العراق، فقد كانوا يدركون سوء أخلاق يزيد وانشغاله عن شئون الخلافة، وصغر سنه (٣٤ سنة). ولم يكن قد شارك أباه فى الحكم، فقد كان لاهيًا عنه بالصيد وشرب الخمر والعبث والمجون، فضلاً عن شركاء السوء الذين يحيطون به كمستشارين له، ويزينون له الباطل حقًا والحق باطلاً.

تتابعت الوفود والرسائل من العراق إلى الحسين، يستحثونه على الحضور إليهم، ليبايعوه وليؤكدوا له أنهم سعداء بوفاة معاوية، وخلاصهم من حكمه، أملاً فى خلافة الحسين، بل إن بعض هذه الرسائل كانت تؤكد للحسين أن والى الكوفة وهو النعمان بن البشير، يشجعهم، ويحرضهم على رفض مبايعة يزيد، وأن الطريق مفتوح أمام الحسين، ليسترد حقه لبيت بنى هاشم.

****

الباب السابع

الحسين بن علي
يرسل رسولاً إلى العراق

أدرك الحسين أن من حقه أن يستعيد الخلافة التى استلبها معاوية من أبيه علىّ، واستلبها من بعده من أخيه الحسن، ومن أجل هذا قرر الحسين أن يعين أهل الكوفة على ثورتهم ضد يزيد، ويقبل بمبايعتهم له.

كان على الحسين أن يستشف حقيقة مشاعر أهل العراق، فكفاه منهم ما لاقاه أبوه وأخوه الحسن، ولعلهم بحسن موقفهم هذا يكفرون عن خطئهم فيما مضى.

لذلك بعث الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل[١] بكتاب إلى أهل الكوفة، ليتأكد من صدق مشاعر القوم، وقال لهم فى كتابه:

- أما بعد.. فقد أتتنى كتبكم، وفهمت ما ذكرتم لى من محبتكم لقدومى عليكم، وقد بعثت إليكم أخى وابن عمى، وثقتى من أهل بيتى.. مسلم بن عقيل، وطلبت منه أن يكتب إلىّ بأمركم ورأيكم، فإن كتب إلىّ أنه قد اجتمع أمركم علىّ.. أقدم إليكم إن شاء الله، فلعمرى ما الإمام إلا العامل بكتاب الله والآخذ بالقسط، والقائم بالحق، والحابس نفسه على أمر الله. والسلام.

كان على مسلم أن يدرس الموقف، ومدى قدرة أهل العراق فى الكوفة وغيرها من المدن الأخرى على نصرة الحسين، فإن كانوا صادقين، قادرين على حمايته.. ذهب إليهم الحسين، وإن كانوا غير ذلك، كف عن الصدام بينه وبين يزيد، ودعا الحسين لمسلم أن يهيئ الله من أمره رشداً.

* * *

(١) هو مسلم بن عقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب، فهو ابن عم الرسول ﷺ.

كان الحسين فى ذلك الوقت مع بعض الصحابة فى مكة، فغادر مسلم ابن عقيل مكة فى طريقه إلى الكوفة، ومر على المدينة المنورة، فاحتمل معه بعض زاد له، وأخذ معه دليلين، ليدلاه على الطريق الذى يسلكه إلى الكوفة.

كان الطريق من مكة إلى الكوفة، مترامى الأطراف، أشبه ببادية، تسنح فيها الذئاب، وتفح فيها الأفاعى.. انبسطت على وجهها الرمال حينًا، والأحجار والحصباء حينًا آخر، خالية من الحياة، فلا تجمعات بشرية، ولا نباتات ولا ظلال، تشعبت وتعددت مسالكها ودروبها، أرض قفر، اختفت معالم الآبار فيها، ولا أنهار ولا أمطار، تسفح الرمال الوجوه، وتلوح الشمس الأجساد، فإذا جن الليل، لفها الظلام الحالك، وسقط البرد القارس.

مضى مسلم بن عقيل ودليلاه، حتى نفد ما كان معهم من ماء، وأضناهم الظمأ، والوحدة وطول الطريق، فمات أحد الدليلين، وتبعه الآخر، وبقى مسلم وحيدًا، يعانى الخوف والظمأ.

ربما فكر مسلم بن عقيل أن يعود إلى مكة من حيث أتى، ولكن.. حتى هذه العودة كانت أمرًا صعبًا عليه، فما يملك إلا أن يمضى فى طريقه إلى الكوفة، يتجرع الكأس حتى ثمالتها، تتراءى أمام عينيه آمال تحجبها مخاوف، وتتصارع فى نفسه صور كثيرة.. ضاعت ملامحها.

* * *

حتى وصل مسلم إلى مشارف الكوفة، فأحس ببعض الراحة.

كان التعب قد أنهك قواه، وأعياه الظمأ، فما كاد يقترب من إحدى الدور، حتى دخلها تتساقط أنفاسه، وقد جف حلقه، فأسرع إليه صاحب الدار، يطمئنه، وأسرعت إليه سيدة الدار بإناء فيه ماء، تجرعه، وقد زاغت النظرات به، فطمأنه أهل الدار، وأزالوا عنه روعه، وخففوا عنه بعض آلامه.

كانت الدار لواحد من أهل الكوفة، اسمه مسلم بن عوسجة.

حكى مسلم بن عقيل لصاحب الدار المهمة التى جاء من أجلها، ولأن صاحب الدار كان من الموالين والمحبين لآل بيت رسول الله، يكن للحسن والحسين إعزازًا ومحبة، فأوى إليه مسلم بن عقيل، وأنزله ضيفًا فى داره.

وعلم الناس فى الكوفة بوصول مسلم بن عقيل رسول الحسين، فأسرعوا إليه، يعلنون له عن مبايعتهم للحسين خليفة عليهم، وأنهم يلفظون خلافة يزيد.

وتكاثر فى قليل من الأيام عدد المبايعين للحسين، أكثر من ١٢٠٠٠ مبايع، زادوا إلى ١٨٠٠٠، ثم إلى ٣٠٠٠٠ مبايع!!

اطمأن مسلم بن عقيل إلى صدق الناس، فأسرع، وكتب رسالة إلى الحسين، يطمئنه، ويستحثه على الإسراع بالمجىء إلى الكوفة.

لا شك أن مسلم بن عقيل تسرع فى هذا الموقف.. وكان عليه أن يتريث، حتى يستكشف كل الأمور حوله.

فلندع رسالة مسلم إلى الحسين، لنرى ماذا كان من أمر أهل الكوفة، بينما كانت رسالة مسلم فى الطريق إلى الحسين.

* * *

انتشر خبر وصول رسول الحسين، وبيعة الناس له، حتى بلغ والى الكوفة.. النعمان بن بشير[١]، فلم يهتم بالأمر كثيرًا. لعله كان يرى أن الناس على حق فى مبايعتهم للحسين، وأنها فرصة للخلاص من يزيد بن معاوية، فقد كان النعمان يكرهه، لذلك لم يهتم والى الكوفة، ولم يمنع الناس من مبايعتهم لرسول الحسين، وترك الأمور تمضى حيث شاء الله لها.

تطوع بعض أنصار بنى أمية، فبعثوا إلى يزيد بن معاوية، يخبرونه بما يقع فى الكوفة، وكيف أن مدينتهم أصبحت معقلاً لشيعة الحسين، واتهموا والى الكوفة بالسكوت، وعدم منع الناس من المبايعة، وأن هذا بلا شك خطر يهدد أصحاب يزيد فى الكوفة، وقد يمتد إلى مدن أخرى بالعراق.

وأسقط فى يد يزيد، فقد تذكر كلمات أبيه له عن الحسين، وأن أهل العراق لن يتركوه وحده، وأنهم سيقفون معه، فماذا يفعل؟

اجتمع يزيد مع مستشاريه.

كان مستشارو معاوية قد ابتعدوا عن ابنه يزيد، لأنهم يعرفون عنه مجونه واستهتاره وطيش شبابه، وعدم قدرته على مواجهة الأمور

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة: أنصارى من الخزرج. ولد بالمدينة المنورة سنة ٢هـ. بشّر الرسول أباه بأنه سيعيش طويلاً عيشة سعيدة، وأنه سيقتل شهيدًا، ويدخل الجنة، كان خطيبًا بليغًا. ولاه معاوية على الكوفة حينًا، ثم على حمص بالشام، وهو الذى نصح يزيد بالإحسان إلى أهل الحسين. قتل سنة ٦٦هـ. [الإصابة (٣/ ٧٣٨)، البداية والنهاية (٨/ ٦١٠)].

بحكمة، وأحاط بيزيد شرذمة من المستشارين الذين كانوا ينظرون للأمور بغير روية، دون أن يهمهم إلا مناصبهم، وما يحصلون عليه من أموال، وما يتقربون به إلى يزيد.

نصح المستشارون يزيد أن يعزل النعمان بن بشير عن ولاية الكوفة، وأن يجعل عليها عبيد الله بن زياد[١]، وكان واليًا على البصرة، وكان صاحب هذا الرأى هو سرجون الرومى أحد مستشارى يزيد.

ورغم كراهية يزيد لعبيد الله بن زياد، إلا أنه وجدها فرصة ليسترضيه، فهو الذى يقدر على مواجهة أنصار الحسين، وطلب يزيد من ابن زياد أن يقبض على مسلم بن عقيل، ويقتله.

عُرف ابن زياد بجرأته وقسوته، وخبثه ومكره، لذلك غادر البصرة، متجهًا إلى الكوفة، فدخلها ملثمًا.. على وجهة عمامة سوداء، لا يستطيع أحد أن يعرفه، وكلما مر على قوم، حياهم بالسلام، فكانوا يعتقدون أنه الحسين ابن على، جاء إليهم، حتى إذا دخل قصر الولاية.. اطمأن، وأعلن عن شخصيته، وكانت أولى المهام التى جاء من أجلها.. القبض على مسلم بن عقيل وقتله.

---

(١) عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان، كان يعرف باسم ابن مرجانة (التى هى أمه)، وكانت مجوسية، كان مولده سنة ٣٩هـ. كان يسكن دمشق، ولاه يزيد بن معاوية إمارة البصرة، ثم أضاف إليه الكوفة، عرف بجرأته فيما يجوز، وما لا يجوز، وهو الذى قتل الحسين بن على، فعاقبه الله، وكان جزاؤه أن قتله إبراهيم بن الأشتر.
مما يذكر عنه.. أنه لما قتل، فصل ابن الاشتر رأسه عن جسده، فجاءت حية، وزحفت بين رؤوس القتلى، حتى وصلت إلى رأسه، فدخلت فيه. البداية والنهاية (٨/ ٦٥٤).

مقتل مسلم بن عقيل

جمع عبيد الله بن زياد كبار أهل الكوفة ومشايخهم فى قصره، وأمرهم أن يجوسوا خلال المدينة، ليتعرفوا أين يعيش مسلم بن عقيل رسول الحسين، وعليهم أن يأتوا به إليه، ولكن الرجال تسللوا من القصر، وتركوا ابن زياد فى حيرته.

كان مسلم بن عقيل قد علم بما يدور فى المدينة، وكيف أن واليها الجديد ابن زياد يطلبه، فترك الدار التى كان فيها، دار ابن عوسجة، ولجأ إلى دار أخرى، هى دار هانئ بن عروة.

استطاع رجال ابن زياد بطرق مخادعة أن يتعرفوا على الدار التى يعيش فيها مسلم بن عقيل، وأنها دار هانئ بن عروة، فبعث ابن زياد إلى هانئ من يطلبه للقاء الوالى، لكن هانئا اعتذر بمرضه، ولزم فراشه، فجاء إليه ابن زياد ليعوده، وليكشف وجود مسلم عنده.

أدرك الرجال من قوم هانئ الذين حوله أن عبيد الله بن زياد يريد الشر به، ونصحوه أن يقتله، لكن هانئا قال لهم:

- كيف اغتال رجلاً، وهو آمن فى دارى.. جاء يسعى ليعودنى؟!!

وأقبل ابن زياد، وسأل هانئا عن ابن عقيل، فأنكر وجوده عنده، فقد أوجس منه شرًا لمسلم.

لكن رجال ابن زياد استطاعوا بطريقة ما، أن يتنكروا، ويكشفوا حقيقة وجود مسلم بن عقيل، فقال ابن زياد لهانئ.

- كيف تخفى عندك رجلا أبحث عنه؟

قال هانئ، وقد أحس بحرج موقفه:

- أصلح الله أمر الأمير، والله ما دعوته إلى دارى، ولكنه هو الذى جاءنى، وطرح نفسه علىَّ.

قال ابن زياد:

- فائتنى به.

لكن هانئا تلبث، لعله كان يعطى الفرصة لمسلم بن عقيل للهرب من داره، فغضب ابن زياد، وقال لهانئ:

- قد أحل الله لى دمك.

وهوى ابن زياد على هانئ بسيفه، فشج جبهته، وكسر أنفه، وأمر بحبسه، مما أثار أهل هانئ، فثاروا على ابن زياد، فقد ارتابوا أن يكون ابن زياد قد قتله.

***

أحس مسلم بن عقيل بصعوبة الموقف الذى وجد فيه نفسه، لعله أدرك منذ تلك اللحظة أنه أخطأ حين تسرع، واستدعى الحسين إلى الكوفة، وكان عليه أن يتريث، حتى تتكشف له الحقائق أمام عينيه، وتمنى لو استطاع أن يرسل إلى الحسين رسولاً يمنعه من الحضور إلى الكوفة، ولكن أنى يكون له ذلك، وهو نفسه يعيش فى خطر؟!

أسرع مسلم بن عقيل، فغادر مكمنه، ونادى فى الرجال، يستنفرهم، ليجتمعوا حوله، فاجتمع حوله أربعة آلاف نفر ممن بايعوا الحسين، ليستنقذوه من خطر الوالى ابن زياد.

وجمع ابن زياد رجاله، وكبار عشائر القوم، لمواجهة مسلم بن عقيل، وكان جنوده يستحثون النساء على منع رجالهن من الالتفاف حول ابن عقيل، حتى أن كثيرًا من النساء أسرعن إلى أزواجهن وأبنائهن وإخوتهن لمنعهم من الدفاع عن مسلم.

كان يوم ٦ من ذى الحجة سنة ٦١هـ يومًا طويلا.. عسيرًا على مسلم ابن عقيل، فقد أدرك الخطر المحدق به، حين رأى الرجال يتناقصون من حوله، كانوا أربعة آلاف، فأصبحوا خمسمائة، ثم مائتين، حتى بلغوا ثلاثين رجلاً.

وأقبل الليل، ونشر أرديته السوداء الحالكة على الكوفة وما حولها، فأشعل رجال ابن زياد المشاعل والقناديل، وأغلقوا أبواب المدينة، وحاصروا مسلم بن عقيل الذى حاول الهرب، فأعجزه الطرق الموصدة حوله، والرجال المحيطون به بسيوفهم.

لم يجد ابن عقيل بدًا من أن يقاتل وحده، فتكالب رجال ابن زياد عليه، وأثقلوا جراحه، وقبضوا عليه، وساقوه إلى الوالى.. مكبلا بقيود من حديد، وقد برحت به آلام جسده، وما أصابه من تعب وظمأ.

ما كان ابن عقيل يقترب من إناء به ماء، أو رفعه إلى فمه، يحاول أن يطفئ ظمأه، ولكنه سمع صوتًا، يناديه:

- والله لن تذوق قطرة ماء حتى تذوق الجحيم.

وأعجله أحد الرجال بسهم، مزق يده، وأسقط منها الإناء الذى سال ماؤه على الثرى.

***

جر رجال ابن زياد مسلم بن عقيل إلى قصره، وهو ينظر فى وجوه القوم وقد نال منه الظمأ، فرقَّ لحاله أحد الرجال، وأعطاه وعاء ماء، ما كاد ابن عقيل يضعه على فمه، حتى سقطت ثنتاه، ونفثت الدماء فى فمه، فآثر الظمأ، وعزت عليه نفسه، فبكى، فقال له أحد الحاقدين عليه:

- أتبكى، أما تحسب ما كنت تريده؟!

قال ابن عقيل:

- لا أبكى على نفسى، ولكنى أبكى على الحسين وآل بيته، إنه خرج إليكم اليوم أو بالأمس.

كان مسلم بن عقيل يمضى إلى قصر ابن زياد، وهو مثخن الجراح، وقد تخضب وجهه بالدماء، وسالت على ثيابه، وهو ينظر إلى وجوه الناس، لعله يعرف واحدًا منهم، فرأى محمد بن الأشعث[1]، فقال له:

(١) محمد بن الأشعث بن قيس بن معديكرب، كان يكنى أبا القاسم. أمه أم فروة بنت أبى قحافة عثمان من بنى تيم، فهى أخت أبى بكر. أي أن أبا بكر هو خال محمد بن الأشعث. طبقات ابن سعد (٢/ ٦٨).
ومعروف أن الأشعث بن القيس (أبا محمد) جاء من اليمن إلى رسول الله، وأعلن إسلامه، فلما توفى الرسول ﷺ، ارتد الأشعث عن الإسلام، فقبض عليه جيش =

- إن استطعت يا محمد أن تبعث إلى الحسين على لسانى، تأمره بالرجوع، فافعل.

موقف مؤلم قاس على هؤلاء الذين بايعوا رسول الحسين، وهم يرونه يساق مقيدًا جريحًا، كسير القلب والنفس، تتقاطر دماؤه، حتى إذا بلغ إلى باب القصر، أدخلوه إلى عبيد الله بن زياد، وقد ثقلت به أغلاله وقيوده، فقال له ابن زياد:

- إنى قاتلك.

قال مسلم فى ثبات:

- فافعل، لكن دعنى أوصى ببعض وصيتى إلى بعض من قومى فأمهله ابن زياد حينًا.

نظر مسلم بن عقيل إلى من حوله، وكان يعرف بعضهم، واتجه إلى أحدهم وهو عمر بن سعد بن أبى وقاص[1]، وقال له:

- يا عمر.. إن بينى وبينك قرابة، ولى إليك حاجة، إن علىَّ دينًا فى الكوفة سبعمائة درهم.

= أبى بكر، وجاءوا به إلى أبى بكر، فعاد إلى الإسلام وزوجه أبو بكر أخته، فلما خرج الناس إلى العراق.. ذهب الأشعث إلى الكوفة، وابتنى له بها دارًا، وكان الحسن بن على قد تزوج ابنته. مات الأشعث بالكوفة، ومعه ابنه محمد. طبقات ابن سعد (٨/ ١٤٥).

(١) هو عمر بن سعد بن أبى وقاص بن وهب بن عبد مناف، وكان الرسول يقول عن أبيه سعد: (هذا خالى، فليرنى امرؤ خاله) رواه الحاكم والذهبى والطبرانى. وستأتى له ترجمة بعد ذلك.

وسمى ابن عقيل لعمر صاحب الدين، وقال له:

- بع سيفى ودرعى، فاقضها عنى، واستوهب جثتى ابن زياد، فوارها الثرى، وابعث إلى الحسين، فإنى كنت قد كتبت له.. ألا يُقبل، ولا أراه إلا مقبلاً.

***

ثم أمر ابن زياد رجاله، فأصعدوا مسلم بن عقيل إلى سطح القصر، وكان لسانه يلهج بالدعاء إلى الله والسلام على رسوله، والتكبير، وهو ينادى ربه:

- اللهم احكم بيننا، وبين قوم غرونا، وخذلونا.

وقبل أن يتم ابن عقيل كلامه، هوى أحد رجال ابن زياد بسيفه على رقبة مسلم، وجز رأسه عن جسده، ثم ألقى بجثته من أعلى سطح القصر إلى الشارع، لكى يراه الناس، ليكون درسًا لمن يخرج عن الوالى والخليفة.

ولم يكتف ابن زياد بقتل مسلم بن عقيل.. بل قتل معه رجالاً آخرين، كان منهم هانئ بن عروة، وأمر ابن زياد، فصلبت أجساد القتلى.

وبعث ابن زياد برأس مسلم بن عقيل إلى يزيد بن معاوية بدمشق فى الشام، ليؤكد له على ولائه وقدرته على الانتصار له.

هكذا كانت نهاية مسلم بن عقيل.

ترى.. ماذا كان من أمر الحسين بن على؟!

****

الباب الثامن

مسيرة الحسين إلى الكوفة

لله مشيئته وقدره الذى قدَّره على خلقه، ولا نملك نحن بنى البشر أن نعترض على مشيئة الله.

والغيب فى علم الله.. يبسطه على من يشاء، ويقدره على من شاء من عباده.. أبهم الله الغد عن إدراكنا، فلا تراه عيوننا، ولا تدركه عقولنا، لحكمة شاءها الله لنا، ولا نملك نحن بنى البشر أن نعرف ما حجبه الله عنا فى غدنا.

وما كان الحسين بن علىّ -حتى لو كان حفيد رسول الله ﷺ- إلا واحدًا من البشر، يجرى عليه ما يجرى على البشر جميعًا، فهو لا يستطيع أن يستشف أستار الغيب، ولا أن يهتك حجب المستقبل، ولا يملك إلا أن يلوذ بالله، ويأمل فيه، ومنه الخير.

* * *

وصلت رسالة من مسلم بن عقيل إلى الحسين بن علىّ.. يقول فيها:
-إن الرائد لا يكذب أهله، وإن جميع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابى هذا.

كان معنى هذا أن يطمئن الحسين على أن أهل الكوفة معه، يناصرونه، وأنهم صادقون فى بيعتهم له، وأنهم على استعداد للوقوف بجانبه.. قائمون على العهد له.

ووجد الحسين بن علىّ فى رسالة ابن عقيل دعوة تحثه على الخروج إلى أهل الكوفة، لعلهم بهذا أرادوا أن يكفروا عن خطئهم الذى ارتكبوه فى حق أخيه الحسن، ومن قبله حق أبيه علىّ.

لذلك، قرر الحسين التوجه إلى الكوفة، لكن المحيطين به كان لهم رأى آخر غير الذى ارتآه، كانوا يخشون على الحسين أن يناله السوء بعيدًا عن بلده، كانت مخاوفهم عليه قائمة على ما فعله أهل العراق بأبيه وأخيه، وأنهم لا عهد لهم ولا ميثاق.

نصيحة الحسين

جاء إلى الحسين كثير من أصحابه وأهله، والمقربين منه، من أهل الرأى والمعرفة، بنصحونه ألا يتجه إلى العراق.

* قال له أخوه محمد ابن الحنفية:

- يا أخى.. أنت أحب الناس إلىَّ، وأعزهم علىّ، ولست أدخر النصيحة لأحد أحق بها دونك.. تنح عن شيعتك عن يزيد بن معاوية، وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس، فادعهم إلى نفسك، فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن أجمعوا على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك، ولا عقلك، وإنى أخاف أن تدخل مصرًا من الأمصار، فيختلف أهله فيما بينهم عليك، طائفة لك، وأخرى عليك، فيقتتلون، فإن خير هذه الأمة كلها نفسًا وأبًا وأمًا.. أضيعها دماء.

* وجاء عبد الله بن عباس إلى الحسين يسعى، وقد ملأه الخوف عليه، فقد كان يدرك حقيقة أهل العراق، ويخشى ما قد ينال الحسين منهم من شر، فقال له:

- يا ابن العم.. إنى لا آمن عليك أن يستنفروا عليك الناس، وأن يقلبوا وجوههم، فيكون الذين دعوك، أشد الناس عليك. يا ابن العم.. إنى أتخوف عليك الهلاك، إن أهل العراق قوم غدر، فلا تغترن بهم. أقم هنا

فى هذا البلد، حتى ينفى أهل العراق عدوهم. ثم أقدم عليهم، وإلا فسر إلى اليمن، فإن به حصونًا وشعابًا، ولأبيك شيعة، وكن عن الناس فى معزل، واكتب إليهم، وبث فيهم دعاتك، فإن فعلت يكن لك ما تحب.

فقال الحسين لابن عباس:

- يا ابن العم.. إنى لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكنى قد أزمعت على السير، وإن أمر الله نافذ.

فعاد ابن عباس للحسين، يقول له، وهو يشعر بالإشفاق عليه، ويتوجس الخيفة من أهل العراق:

- فإن كنت ولابد سائرًا، فلا تسر بأولادك ونسائك، فوالله إنى خائف أن تقتل، كما قتل عثمان بن عفان، وولده ونساؤه ينظرون إليه.

* وسأل عبد الله بن الزبير الحسين، وقد غلبت الدهشة على خوفه:

- أتذهب إلى قوم، قتلوا أباك، وأخرجوا أخاك؟!، فو الله ما حمدتم ما صنعتم.

* ونصح جابر بن عبد الله الحسين، وقال له:

- اتق الله، ولا تضرب الناس بعضهم ببعض.

* وبينما كان الحسين يهم بالخروج من مكة.. جاءه عمرو بن عبد الرحمن بن الحارث[1]، وقال له:

- يا ابن العم.. إنى أتيتك لنصيحة، فإن كنت ترى أنك تستنصحنى وإلا كففت عما أريد أن أقوله لك.

(١) هو عمرو بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى.

فقال له الحسين:

- قل فوالله ما أظنك سيئ الرأى.

قال عمرو:

- بلغنى أنك تريد السير إلى العراق، وإنى مشفق عليك.. إنك تأتى بلدًا فيه عماله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، والناس عبيد الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك بنصر الله.

فقال له الحسين:

- جزاك الله خيرًا يا ابن العم، فإنك مشيت بنصح، وتكلمت بعقل، ومهما يقض الله من أمر يكن.

ونصح أبو سعيد الخدرى[1] الحسين، فقال له:

يا أبا عبد الله.. إنى لكم ناصح، وإنى عليكم مشفق، وقد بلغنى أنه كاتبك قوم من شيعتك بالكوفة، يدعونك إليهم، فلا تخرج إليهم، فإنى سمعت أباك يقول عنهم: (ملُّونى وأبغضونى، وما يكون منهم وفاء قط، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب، والله ما لهم ثبات ولا عزم على أمر، ولا صبر على سيف).

* * *

(١) أبو سعيد الخدرى، هو سعد بن مالك بن سنان. أنصارى من بنى الخزرج، استشهد أبوه فى غزوة أحد، وكان سعيد يريد أن يشترك فيها، لكن رسول الله ﷺ منعه، لأنه كان صغيرًا. روى كثيرًا عن رسول الله وأبى بكر وعثمان وعلىّ وزيد بن ثابت، وعنه روى كثير من الصحابة مثل ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأبو أمامة. عرف بتفقهه فى الدين. يقال أنه مات سنة ٧٤. الإصابة (٢/٤٨).

* وإذا كان هؤلاء الناصحون قد واجهوا الحسين برأيهم، فقد جاءت إليه نصائح أخرى.. كُتُبٌ بَعَثَ بها الناصحون، أن يكف عما يريد، وأن يبقى ببلده.

فقد بعث إليه ابن عمه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب[١] كتابًا يحذره من الشقاق بين المسلمين، وخوفه عليه من الهلاك، ويرجوه ألا يعجل بالمسير.

ومع أن عمرو بن سعيد بن العاص كان عاملاً ليزيد بن معاوية على مكة، أى أنه كان من أتباع بنى أمية، إلا أنه بعث إلى الحسين كتابًا أن يهديه الله، وأن يبعده عن الشقاق، خوفًا عليه وعلى أهله، مما قد يصيبهم على أيدى أعدائهم.

مع كل هذه النصائح، كان الحسين مصرًا على موقفه.. مدفوعًا إلى الخروج بأهله إلى الكوفة، وما يدرى ما يخبئه له القدر.

* فى ذلك العام، كان الشاعر الفرزدق[٢] يحج مع أمه، فلقى الحسين مدبرًا عن مكة، قبل أن يقضى مناسك حجه، وكان مع الحسين أهله وأسيافه ودروعه وأتراسه، فقال له الفرزدق:

(١) عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب. صحابى جليل. أمه أسماء بنت عميس. كان مولده بالحبشة، حيث هاجر أبواه. باركه رسول الله ودعا له: (**اللهم اخلف جعفرًا فى ولده، وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه**). مات أبوه جعفر فى غزوة مؤتة. عرف عن عبد الله سخاؤه وكرمه، وكان صديقا لمعاوية، وابنه يزيد، وكانا يحترمانه، ويعتزان به. روى أحاديث عن رسول الله وعن أبويه، وأبى بكر وعمر وعمه على. وعنه روى كثيرون توفى سنة ٩٠هـ وعمره ٩٠. [الإصابة (٢/ ٣٨٧)، البداية والنهاية (٩/ ٣٥)].

(٢) الفرزدق: هو همام بن غالب بن صعصعة التميمى. شاعر معروف. ولد بالبصرة. عرف بكثرة شعره فى المدح والهجاء. نشر له ديوان (نقائض جرير والفرزدق)، وديوان آخر ترجم للغة الفرنسية. (موسوعة المنجد ص ٣٨٥).

- بأبى أنت وأمى يا ابن بنت رسول الله. ما أعجلك عن الحج؟

فقال الحسين:

- لو لم أعجل لأُخذت.

ثم سأله الحسين:

- ممن أنت؟

فقال الفرزدق:

- امرؤ من العراق.

فسأله الحسين عن أهله، فقال له الفرزدق:

- القلوب معك والسيوف مع بنى أمية.

وقبل أن يغادر الحسين مكة.. بعث إلى المدينة أن يقدم عليه من خف من بنى عبد المطلب، ليصحبوه إلى الكوفة، وكانوا تسعة عشر نفرًا من إخوته ونسائه وبناته، ورفض أخوه محمد ابن الحنفية أن يصحبه ولده، حبسهم عنه، فقال له الحسين:

- أترغب بولدك عن موضع أُصاب فيه؟!

فقال له محمد ابن الحنفية:

- وما حاجتى إلى أن تصاب، ويصابوا معك، وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم!![1].

(١) البداية والنهاية ج٨ ص٥٣٧.

الحسين فى طريقه إلى الكوفة

غادر الحسين مكة، فلقيه رجل فوق راحلته، كان الرجل من أهل العراق، وكان قادمًا لتوه من عند قومه، ولا شك أن الحسين رغم هذا الإصرار، كان يتوقع خيانة أهل العراق له، فقال للرجل:

- يا أخى أخبرنى عن الناس الذين تركتهم خلفك.

كان الرجل يعرف أنه الحسين، فقال له، وقد بدت على وجهه معالم الأسى:

- القلوب معك، والسيوف مع بنى أمية، والقضاء بيد الله، والله يفعل ما يريد.

فقال الحسين، وقد أوجس فيه نفسه خيفة:

- صدقت، لله الأمر من قبل ومن بعد، يفعل ما يشاء. إن ينزل القضاء بما نحب، فلنحمد الله على نعمائه، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يتعد من كان الحق نيته، والتقوى سريرته.

ثم لوى الحسين عنق راحلته، ومضى.

* * *

ما كاد الحسين وأصحابه يخرجون من مكة.. حتى بعث مروان بن الحكم برسالة إلى يزيد بن معاوية، يخبره أن الحسين بن علىّ قد توجه إلى الكوفة، يسعى ليكون خليفة عليهم.

وعندما علم يزيد، بعث برسالة إلى عبيد الله بن زياد فى الكوفة، قال له فيها:

- بلغنى أن الحسين توجه إلى العراق، فضع المناظر والمسالح واحترس، واكتب إلىَّ بما يحدث.

لك الله يا ابن بنت رسول الله.

وما يملك الحسين، وهو فى موقفه هذا، وقد أسفرت بعض الحقيقة أمام عينيه، إلا أن يتصبر على مشيئة الله وقدره.

* * *

مهما يكن من شىء، فقد مضى الحسين ومن معه من مكة فى طريقهم إلى الكوفة.

كان على الحسين أن يطمئن أهل الكوفة، بأنه عند ظنهم به، فبعث إليهم رسولاً هو قيس بن مسهر الصيداوى، ومعه رسالة.. قال لهم فيها الحسين: بعد السلام والتحية:

- فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءنى، ليخبرنى بحسن رأيكم، واجتماع كلمتكم على نصرنا، والطلب بحقنا، فنسأل الله أن يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد اتجهت إليكم من مكة، وإذا قدم عليكم رسولى، فاكتموا أمره، وجدُّوا، فإنى قادم إليكم إن شاء الله.

ما كاد قيس بن مسهر يصل إلى القادسية، حتى أخذ الكتاب منه الحصين بن نمير[1]، وبعثه إلى عبيد الله بن زياد.

(١) الحصين بن نمير فاتك بن لبيد: أنصارى. اشترك فى غزوة تبوك. يذكر بعض الرواة أنه كان أحد المنافقين، وأنه أغار ذات يوم على تمر الصدقة، وكشفه رسول الله، فادعى أنه أراد بهذا العمل أن يتأكد من نبوة الرسول، فعفا عنه. كان عامل عمر بن الخطاب على الأردن. الإصابة (١/ ٢٤٥).

كان من الطبيعى أن يغضب ابن زياد، فبعث إلى الحصين يطلب منه أن يصعد إلى القصر، وينادى فى الناس، وأن يسب الكذاب على بن أبى طالب وابنه الحسين.

ما كاد الحصين يتلقى خطاب ابن زياد، حتى ساءه ما يقوله، وما يدعيه على أهل بيت رسول الله، فصعد إلى سطح القصر، وبدلاً من أن يسب عليًا والحسين.. نادى فى الناس:

- أيها الناس.. إن الحسين بن على هو خير خلق الله، وهو ابن فاطمة بنت رسول الله، وإنى رسول إليكم، فأجيبوه، واسمعوا له وأطيعوا.

استاء ابن زياد مما فعله الحصين، فأمر بإلقائه هو ومن معه من الرجال من أعلى القصر، فسقط الحصين، وقد تهشمت عظامه، فعاجله أحد رجال ابن زياد، وذبحه، زاعمًا بذلك أنه أراد أن يريحه من آلام عظامه!!

* * *

وقعت كل هذه الأحداث: قتل مسلم بن عقيل، وهانىء بن عروة، والحصين، دون أن يعلم الحسين بها، فقد كان ما يزال فى الطريق بين المدينة والكوفة.

لحق بالحسين بعض رجال كانوا يعرفون مقصده، وأخبروه بما وقع لمسلم وهانئ والحصين، ونصحوه ألا يمضى فى الطريق، وأن يعود من حيث أتى، ليكفى نفسه وأهله سوء ما قد يصيبهم.

كان مع الحسين إخوة مسلم بن عقيل، فما كادوا يسمعون بمقتل أخيهم، حتى أحزنهم ما سمعوا، وحفزهم على المضى فى الطريق حتى النهاية، وليكن ما شاءه الله، وقالوا للحسين:

- والله لا نرجع، حتى ندرك ثأرنا، أو نذوق ماذاق أخونا.

هنالك ازداد إحساس الحسين، بأن الموضوع أكثر مما كان يتصور، وأنه مقدم على أمر لم يعمل له حسابه، ولعله لام نفسه على أنه لم يتريث، ولكن كان عزاؤه أنه يعمل من أجل خير المسلمين، وأنه يدفع عنهم الشر الذى أنزله بهم معاوية، حين نكث عهده للحسن أخيه، أعطى نفسه حقًا ليس له، وهو اختيار خليفة المسلمين بنفسه، فعين ابنه يزيد دون أن يأخذ رأيهم، مما يؤكد أنه يريد أن يجعل الخلافة وراثية فى بيت أمية.

كان قد التف حول الحسين وصحبه بعض المشجعين له، فاتجه إليهم، وقال:

- خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف، فلينصرف من غير حرج، وليس عليه منا ذمام.

فتفرق من كانوا حوله إلا قليلاً منهم، أصروا على مصاحبته.

* * *

مضى الحسين وأصحابه فى طريقهم نحو الكوفة، فلقيهم الحر بن يزيد التميمى وكان معروفًا للحسين، فأحس بمقدار ما سيلاقيه، فقال له:

- يا حسين.. ارجع، فإنى لم أدع لك خلفى خيرًا.

لكن الحسين استمر فى طريقه، فلقيه عبد الله بن مطيع[1]، فقال له:

- يا ابن بنت رسول الله.. ما أقدمك؟

(١) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة، كان مولده فى عهد الرسول، وكانت له بئر معروفة باسم مطيع قرب الأبواء. فى أيام فتنة يزيد بن معاوية، حاول الخروج من المدينة لكراهيته ليزيد، ولكن عبد الله بن عمر منعه. =

قال الحسين:

- كتب إليَّ أهل العراق بعد موت معاوية، يدعوننى إلى أنفسهم.

فقال ابن مطيع:

- أذكرك بالله يا ابن بنت رسول الله، أنشدك الله فى حرمة العرب، فو الله لئن طلبت ما فى أيدى بنى أمية، ليقتلُنَّك، وإن قتلوك، لا يهابوا أحدًا بعدك أبدًا. والله.. إنها لحرمة الإسلام وحرمة العرب وحرمة قريش، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرض نفسك لبنى أمية.

* * *

كان الطريق طويلاً، أنهك رجال الحسين، فاختاروا مكانا، نصبوا فيه خيامهم، وجلسوا ليستريحوا، وجلس الحسين يقرأ القرآن، وقد انهمرت دموعه على وجهه، فمر به أحد المارة وكان يعرفه، فقال له:

= مما يروى عنه أنه بينما كان الحسين فى طريقه إلى الكوفة، مر على عبد الله بن مطيع، فنزل عن راحلته، ولما علم ابن مطيع بوجهة الحسين إلى الكوفة، قال له:

- بأبى أنت وأمى. لا تسر إليهم، وأمسك عليك نفسك، والله لئن قتلوك ليتخذننا هؤلاء القوم عبيدًا لهم، وهذه بئرى خرجت منها بعض ماء اليوم، فادع لنا بالبركة فيها. فباركها الحسين وشرب من مائها.

ولما كان عمر بن سعد بن أبى وقاص على جيش ابن زياد لقتال الحسين وأهله، قال ابن مطيع لعمر، يوبخه على موقفه:

- اخترت ولاية همذان والرى على قتل ابن عمك؟!

فحاول عمر أن يبرىء نفسه، وادعى أنه حاول أن يقنع الحسين بالسلام.

انضم ابن مطيع إلى رجال عبد الله بن الزبير فى مواجهته لجيش يزيد.. وقُتل قبل مقتل عبد الله بن الزبير. طبقات ابن سعد (٧/ ١٤٣).

- يا ابن بنت رسول الله، ما أنزلك هذه البلاد والفلاة التى ليس فيها أحد؟!

فقال الحسين:

- هذه كتب أهل الكوفة إلىّ، ولا أراهم إلا قاتلى، فإذا فعلوا ذلك، لم يدعوا لله حرمة إلا انتهكوها.. سلط الله عليهم من يذلهم.

كان طول الطريق قد أتعب الحسين وأهله ومن معه من الأعراب، فهدأوا فى هذا المكان، لعلهم يصيبون بعض الراحة.

بدأت الشمس تشرق على الكون.. حينما استأنف المرتحلون طريقهم.. يغذون السير نحو الكوفة، تتراءى أمامهم أحلامهم.. آملين أن يجدوا أهل الكوفة، وقد تجمعوا، وأجمعوا على مناصرة الحسين.. يهتفون بمقدمه، ويعلنون عن بيعتهم له..

صورة طيبة سعيدة.. كان يرسمها لهم خيالهم، بما فى لهفتهم من آمال، يبتغون تحقيقها، واتسعت بهم الآمال، حتى ليتخيلون أنفسهم وقد ساروا فى موكب حافل إلى الشام، يعلنون رفضهم ليزيد، وبيعتهم للحسين!!

* * *

حتى بلغ ركب الحسين إلى مكان يبعد عن القادسية[1] بخمسة كيلو مترات، وهم فى لهفة إلى الكوفة، فإذا مفاجأة تنتظرهم.. غلبتهم على آمالهم ولهفتهم، وتداعت أمام عيونهم أنقاض ما تمنوا!!

(١) القادسية: موقع فى جنوب غرب العراق. وقعت عنده معركة بين المسلمين بقيادة سعد ابن أبى وقاص والفرس بقيادة رستم. كان ذلك سنة ١٤هـ (٦٣٦م) وفيها انتصر المسلمون، وكان هذا تمهيدًا لاستيلاء المسلمين على العراق وفارس. (المنجد ص ٤٠٢).

كان جيش كبير ينتظرهم.. لم يكن جيشًا لهم، وإنما كان جيشًا عليهم.. إنه جيش عبيد الله بن زياد.. بعثه للقاء رجال الحسين، حينما وصلته أخبار مقدمهم.

كان هذا الجيش الكبير مكونًا من ١٠٠٠ مقاتل، بين فارس وراجل.. يقوده الحر بن يزيد، مع أن جيش الحسين كان قليلاً.. لا يزيد عن ٤٥ فارسًا ومائة راجل.

كانت هذه بداية لإحساس الحسين بصعوبة الموقف عليه.

نزل الحسين عن فرسه، واتجه إلى القوم الذين أحاطوا به من أهل القادسية وما حولها وناداهم، والله أعلم بمشاعره:

- أيها الناس.. إنى لم آت إليكم حتى أتتنى كتبكم ورسلكم، فإن تعطونى ما أطمئن عليه من عهدكم ومواثيقكم.. كنت معكم، وإن لم تفعلوا انصرفت عنكم إلى حيث أقدمت.

كانت هذه محاولة من الحسين، لعل الناس ينضمون إلى موكبه، ويقفون معه، وينصرونه.

لكن الناس انصرفوا عنه، فقد كانوا يدركون أنها مواجهة مع ابن زياد، وأن المعركة خاسرة للحسين

* * *

عاد موكب الحسين يمضى، فبينما هم فى الطريق.. علم الحسين من الأعراب الذين قابلوهم ما وقع لرسوله ابن عمه مسلم بن عقيل، وكيف قُتل، وأن رسوله الثانى قيس بن مسهر الذى بعثه برسالة إلى الكوفة، قد

قبض عليه الحصين بن نمير، وبعثه والرسالة معه إلى ابن زياد، ليلقى جزاءه، لعله هو الآخر قد لقى مصرعه!!

أحس الحسين أن ما حدث بدايات غير مطمئنة، فقد انفض الرجال من حوله، وقتل رسولاه.

كان بعض الأعراب ما يزالون فى موكب الحسين، فساءهم ما سمعوا، وساورهم الخوف والشكوك فيما هم مقدمون عليه، وأحس الحسين بما يدور فى أذهانهم.. بدا ذلك واضحًا فى تراخيهم وترددهم، ومحاولة الانصراف عنه، فسمح لمن شاء منهم أن يتخلى عنه، فليس له عليهم سلطان، فابتعد بعضهم، وبقى قليل.

لعل الحسين فى هذا الموقف قد عاودته صورة أهل العراق، حين خانوا أباه، ثم تخلوا عن أخيه الحسن!!

وما يملك الحسين، وهو فى موقفه.. إلا أن يدعو ربه:

- اللهم أنت ثقتى فى كل كرب، وأنت رجائى فى كل شدة، وأنت لى فى كل أمر نزل بى، فكم من همٍّ ثقل عن حيلتى، إليك أشكو، فلا تشمت بى العدو، يارب.. أنت لى ولىّ كل نعمة.

وبلغ موكب الحسين حيث مواقع جيش ابن زياد، فتضاعفت مخاوف الحسين على أهله، وطوفت به الأفكار، ماذا يفعل؟!

* * *

فلما كان الصباح من غد.. تياسر موكب الحسين.. متخذين طريقًا غير الكوفة.. لكن رجال ابن زياد لم يتركوهم.. حاذوهم فى طريقهم.. على

غير بعيد منهم.. يتابعون حركاتهم، ويحاولون أن يتعرفوا على مبتغاهم، فقد كانت تعليمات ابن زياد لرجاله، ألا يتركوا فرصة للحسين، ينفذ منها إلى أهل العراق، وأن يبقوا عليه فى العراء

لا شك أن الحسين فى موقفه هذا، أحس أنه محاصر.. لا فكاك له من رجال ابن زياد.

كان أشبه بطائر، يحاوره صياد قاس، وقد صوب إليه سهمه، يلاحقه، وهو يتنقل من غصن إلى غصن، يتابعه، لعله يصيبه.

وما يملك الحسين، وهو فى موقفه هذا.. إلا أن يدعو الله.. يسأله الهداية، ويرجوه النصر.

وبينما كان رجال جيش ابن زياد يسيرون فى محاذاة موكب الحسين، ناداهم الحسين:

- أيها الناس.. إن رسول الله قال: من رأى سلطانا جائرًا، مستحلاً لحرم الله، مخالفًا لسنتى.. يعمل فى عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل، ولا قول، كان حقًا على الله أن يدخله مدخله، وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالبغى، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيرى.

أيها الناس.. لقد أتتنى كتبكم ورسلكم ببيعتكم، وإنكم لا تسلموننى ولا تخذلوننى، فإن بقيتم على بيعتكم، تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علىّ وفاطمة بنت رسول الله.. نفسى مع أنفسكم، وأهلى مع أهلكم، فلكم فىَّ أسوة، وإن لم تفعلوا، ونقضتم عهدى، وخلفتم بيعتى، فمن نكث، فإنما ينكث على نفسه.

كان الحسين بهذه الكلمات يحاول أن يضم بعض رجال ابن زياد إليه، أو يقنعهم بالثورة عليه، ومخالفة تعاليمه.. لكنهم لم يستجيبوا لكلماته، واستمروا يسيرون بمحاذاة موكبه، يمنعونه من دخول الكوفة.

استشهاد الحسين

كان جيش ابن زياد ما يزال يحاذى موكب الحسين بن علىّ.. حتى بلغوا كربلاء[١] فى اليوم الثانى من شهر المحرم سنة ٦١هـ.

هنالك.. لحق بجيش ابن زياد عدد آخر، كان جيشًا كبيرًا قوامه ٤٠٠٠ مقاتل بين فارس وراجل.. يقوده عمر بن سعد بن أبى وقاص[٢].

كان هذا الجيش قد هيأه ابن زياد لإخماد ثورة أهل الديلم[٣] الذين ثاروا على المسلمين هناك، لكن ابن زياد بعث هذا الجيش إلى كربلاء ليعزز جيش الحر بن يزيد فى مواجهته مع الحسين وأهله!!

---

(١) كربلاء: مدينة تقع غرب العراق، على بعد حوالى ٢٥ كيلو مترًا من الكوفة. كان فيها مقتل الحسين بن علىّ، فيها مشهد الحسين. يزوره كثير من المسلمين. كانت تعرف قديمًا باسم (كور بابل) فهى تقع قرب بابل القديمة التى كانت عاصمة للدولة الأشورية.

(٢) عمر بن سعد بن أبى وقاص (أهيب) بن عبد مناف بن زهرة. أبوه كان ابن عم السيدة آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ، وكان الرسول يقول عنه (خالى). كان عمر يسكن الكوفة، استعمله عبد الله بن زياد على الرى وهمدان. أمّره ابن زياد على جيش لقتال الحسين بن علىّ وأهله.. مما يروى أن سعد بن أبى وقاص (أبا عمر) كان جالسًا ذات يوم، فجاءه غلام يبكى، وقد سالت الدماء من عقبيه، فسأله سعد: من فعل بك هذا؟ قال الغلام: ابنك عمر. فدعا سعد ربه، وقال: اللهم اقتله، وسل دمه، وكان سعد مستجاب الدعوة، ولذلك كانت نهاية ابنه عمر، أن قتله المختار بن عبيد الله جزاء اشتراكه فى قتل الحسين. (طبقات ابن سعد ج٧ ص١٦٧، البداية والنهاية ج٨ ص٦٤٣).

(٣) الديلم: جماعة من الترك، يسكنون المنطقة الواقعة شمال بحر قزوين. دخل إليهم الإسلام، لكنهم لما علموا بوفاة معاوية بن أبى سفيان، ثاروا على المسلمين. (المنجد ص٢٠٥).

اتجه الحسين إلى عمر بن سعد، وقال له:

- يا عمر.. اختر إحدى ثلاث.. إما أن تتركنى أرجع كما جئت، وإما أن تسيرنى إلى يزيد بن معاوية، فأضع يدى فى يده، فيحكم فىَّ ما رأى، فإن أبيت، فسيرنى إلى الترك (يقصد الديلم)، فأقاتل معك، حتى أُقتل.

هكذا كان الحسين فى موقفه.. أراد أن يقنع بالرضاب[1] دون الشراب.

ما كان هذا الحوار بين الحسين وعمر.. إلا ليزيد الأمر تعقيدًا، فمعنى هذا أن الحسين تخطى ابن زياد. أهمله. لم يعره التفاتًا، وأنه يريد أن يلتقى بيزيد!! وأحس ابن زياد أن الحسين أهانه. كيف يريد أن يلقى الخليفة قبل أن يلقاه، وهو الوالى؟!

أصبح الطرفان.. رجال ابن زياد، ورجال الحسين فى مواجهة معًا؛ لا تفصلهما مسافة كبيرة.

كان يمكن أن يستمر الهدوء بين المتخاصمين، لعل أحدهما يتخلى عن رأيه، لعل رجال ابن زياد يسمحون للحسين أن يمضى حيث يشاء، أو لعل الحسين ينزل عن رأيه، ويذهب إلى ابن زياد.

لكن رسالة حاسمة، بعث بها ابن زياد مع شمر بن ذى الجوشن[2] إلى قائده عمر بن سعد، قال له فيها:

---

(١) الرضاب: بقايا ما فى الكأس من قطع الثلج.

(٢) شمر بن ذي الجوشن: اسمه أوس بن الأعور، ويقال كان اسمه (شرحبيل بن معاوية) من بنى كلاب. لقب أبوه باسم ذى الجوشن لأنه دخل على كسرى، فأعطاه جوشنًا (درعًا) فلبسه، فكان أول عربى يلبس الدروع. كان أميرًا للسرية التى بعث بها ابن زياد لقتال الحسين بن علىّ. بعد اشتراكه فى مقتل الحسين، هرب إلى البصرة وقُتل هناك. قتله المختار بن عبيد الله. (البداية والنهاية ج٨ ص ٦٤٠، الإصابة ج١ ص ٦٣٩).

- أما بعد.. فإنى لم أبعثك إلى الحسين، لتكف عنه، ولا لتمنيه بالسلامة والبقاء، ولا لتكون له عندى شافعًا.. انظر.. فإن نزل الحسين وأصحابه عما أرادوا، واستسلموا، فابعث بهم إلىَّ، فإن أبوا، فازحف إليهم، حتى تقتلهم، وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، وإن قتل الحسين، فأوطئ الخيل صدره وظهره!!

لما رجع شمر بن ذى الجوشن برسالة ابن زياد إلى عمر بن سعد استنكر عمر ما أراده ابن زياد، وقال لشمر فى غلظة:

- أبعد الله دارك، وقبح ما جئت به. والله إنى لا أظنك أنت الذى صرفت ابن زياد عن الأمور الثلاثة التى عرضها الحسين.

ولأن شمر كان محبذًا لقتل الحسين، قال لعمر بن سعد:

- فماذا أنت صانع بقوم الحسين؟، أتقاتلهم، أم تتركنى وإياهم؟!

ورغم قسوة الموقف على عمر بن سعد أن يقاتل أقرباءه، قال لشمر:

- سأتولى أنا أمرهم.

وعلم الحسين برسالة ابن زياد، فأدرك أنها الحرب لا محالة، وهم قليل، وأعداؤه كثيرون. وكان الحسين يخشى أن يتخلى عنه من بقى معه.. لكن مسلم بن عوسجة، قال له:

- أنتخلى عنك؟ وبم نعتذر فى حقك؟ والله.. لن نخليك، حتى يعلم الله أننا حفظنا عنه رسوله.

ناشد الحسين رجال ابن زياد أن يتركوه وشأنه، ولكنهم رفضوا.

كان أحد كبار رجال ابن زياد يدرك ما سينال الحسين من شرّ بات محققًا، فقال لعمر بن سعد وشمر بن ذى الجوشن:

- ألا تتقون الله، فتقبلون ما يعرضه عليكم، فوالله لو سألكم الترك هذا (يقصد الديلم) ما حل لكم أن تردوهم.

لكن عمر وابن ذى الجوشن وأنصارهما أبوا إلا حكم ابن زياد!!

أصدر عمر بن سعد أوامره لرجاله بالاستعداد للحرب، وناداهم:

- يا خيل الله اركبى، وأبشرى.

وسرعان ما اعتلى فرسان ابن زياد ظهور خيولهم، وأشرعوا أسلحتهم، وجهز رماة السهام سهامهم وأقواسهم، وتهيأوا للمعركة، وجعلوا ظهورهم لنهر الفرات، حتى يمنعوا الماء عن الحسين ورجاله!!

ولأمر شاءه الله، نظر أحد رجال الحسين حوله، فإذا سياج من نخيل لم يعهده فى هذا المكان من قبل، فجعلوه خلف ظهورهم.. يحميهم من سهام العدو.

وحزنت زينب بنت علىّ أخت الحسين لما آل إليه أمر قومها وأخيها، فتحاملت على نفسها، واتجهت إلى عمر بن سعد قائد الجيش، وقالت له:

- يا عمر.. أتقاتل قريبك.. الحسين ابن بنت رسول الله؟!

فأشاح عمر بوجهه عن زينب، فلم تسعفه الكلمات، فقد كان يدرك صعوبة الموقف عليه.

* * *

فلما كانت ليلة الخميس لتسع ليال مضت من شهر المحرم سنة ٦١هـ. . استمر الحسين وأهله ورجاله فى صلاتهم ودعائهم إلى ربهم. . يسألونه أن يحقق لهم النصر.

فى تلك الليلة. . أصابت الحسين سنة من الكرى، وهو على باب خيمته، فرأى رسول الله مقبلا إليه، يدعوه إليه، فأدرك أنه سيموت، وعلم أهله برؤياه، فاشتد بهم الفزع والحزن عليه، وكان أكثرهم حزنًا عليه أخته زينب، وقال أصحابه له:

- والله لا نفارقك. . أنفسنا فداؤك. . نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا، فإن قتلنا، فقد وفينا ما علينا!!

***

فلما كان صباح الغد. . الجمعة العاشر من المحرم.

تهيأ رجال ابن زياد للقتال، امتطوا ظهور خيولهم، وأشرعوا سيوفهم، ولبسوا دروعهم، واستعدوا بحرابهم ونبالهم وأقواسهم، وكثرة أعدادهم. . حتى إن بعض النساء والأطفال من أهل الحسين أصابهم الفزع!!

هنالك. . خرج الحسين، وقد لبس درعه، واستوى على فرسه، وبيده مصحف وسيف، ودعا ربه:

- ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وسرعان ما انخرط أهل الحسين فى بكاء وعويل.. حتى ارتفع نحيبهم.. لعله يبلغ إلى أعدائهم!!

كان موقفًا صعبًا على الحسين، وهو يرى السيوف والرماح مشرعة نحو قومه.. نسائهم وأطفالهم.

لا شك أن الحسين أشفق على من معه.. ليته استمع إلى نصيحة ناصحيه، فأبقى على أهله فى مكة، حتى يجنبهم ويلات ما يصيبهم من أعدائهم، وما قد ينالونه من طعنات سيوف رجال هم شرذمة البشرية، وتذكر الحسين نصائح أخيه محمد ابن الحنفية وابن عمه عبد الله بن العباس، وأبى سعيد الخدرى وغيرهم ممن ودعوه فى مكة، أو لقيهم فى الطريق.

لا بأس.. فالله قاضٍ بما شاء، ولا معقب لقضائه، ولا راد لحكمه.

زحف كثير من رجال ابن زياد، فطوقوا الحسين وأهله.

ثم دارت بين الطرفين معركة طاحنة.. تلاقت فيها السيوف، وأعناق الخيول، وتراشقت السهام، وعلى صهيل الخيول، وارتفع النقع، وانطلقت الأصوات تشجع هذا، أو تحذر من ذاك، وتكاثفت سحب الغبار، حتى كادت تحجب الرؤية عن المتصارعين، وتساقط كثير من القتلى، واستطاع الحسين ورجاله أن يذودوا عن أنفسهم ضربات العدو، ولم يقتل منهم إلا قليل، وقتل من رجال ابن زياد الكثير.

حتى حان موعد صلاة الجمعة.

***

أدى الطرفان صلاة الجمعة فى حذر بينهم.

حتى إذا انتهت الصلاة.. عاد المتحاربون إلى القتال!!

أحس شمر بن ذى الجوشن أنها لابد أن تكون معركة فاصلة، فدفع بمزيد من رجاله إلى أهل الحسين، أكثر من خمسمائة جندى من رجال ابن زياد، دفعوا دفعًا إلى المعركة، وقد أصر ابن ذى الجوشن على قتل الحسين وأهله.

أخذ رجال ابن زياد يقاتلون فى غير هوادة، قتلوا كثيرًا من أهل الحسين وأنصاره، قتلوا مسلم بن عوسجة، وقتلوا أبناء الحسين أبا بكر وعمر والعباس وعثمان وجعفر، وبعض إخوة مسلم بن عقيل، وبعض أبناء الحسن أخى الحسين.

كان رجال ابن زياد يستطيعون أن يقبضوا على الحسين، وأن يسوقوه مكبلاً بالحديد والقيود إلى سيدهم، ليرى فيه رأيه، ولاشك أن كثيرًا منهم كان يحاول ذلك، لا كراهية فى الحسين، ولكن للحفاظ على حياته، فهو مازال فى نظرهم ابن بنت رسول الله، ولعل كثيرًا من هؤلاء الجنود، كانوا غير راغبين فى قتاله.. بل لعل بعضهم ممن كانوا بايعوه، لولا تضييق الخناق عليهم.

لكن ابن ذى الجوشن لبسه الشيطان، كان مصرًا على قتل الحسين مهما كلفه هذا من مشاق.. عداء لا يعرف سببه إلا أنه إرضاء لسيده، فراح يحاول أن يقترب منه، يسير حيث يسير الحسين، ويقف حيث يتوقف.. يحاول أن يناله بسيفه، أو بطعنة رمحه.

فبينما كانت المعركة تدور رحاها.. تعلق أحد أبناء الحسين بأبيه، يطلب منه شربة ماء كى يطفئ ظمأ عيى عن تحمله، لكن سهمًا أطلقه

أحد الرجال على الطفل، فأرداه قتيلاً، وهو يغالب قسوة الظمأ، فأبكى من كانوا حوله!!

لكم الله يا أحفاد رسول الله.. لقد جرى عليكم القدر بالسوء بلا ذنب اقترفتموه، إلا أن أباكم يدافع عن الحق فى مواجهة ظالم. وأحس شمر بن ذى الجوشن بما أصاب الحسين على ولده، فولج ومعه بعض رجاله حول الحسين، حتى اقترب منه، فضرب قوائم فرسه، فعقره، وسقط الحسين يترنح من شدة الظمأ الذى أصابه، فحاول أن ينهض، فلم تسعفه قوته، والدماء تنزف منه، والسهام تخترق جسده، والسيوف تلاحقه، فكان ينهض حينًا، ويكبو حينًا آخر!!

حاول الحسين أن يشرب، فأصابته سهام العدو، فنفث فمه دماء، وجره رجال ابن زياد، وهو يصارع قسوتهم ووحشيتهم، والدماء تنزف منه، حتى فاضت روحه الطاهرة إلى ربها ملبية دعوة جده أثناء سنة الكرى التى أصابته أمام خيمته!!

هنا.. أسرع ابن ذى الجوشن، وجز رأس الحسين، وعلقها فى رمح.

لم يكتف ابن ذى الجوشن بما فعله، بل راح يطوف برأس الحسين بين جنوده، ومعه رؤوس القتلى من أنصاره وأهله، وقد لوثت الدماء رؤوسهم، تعلن عن سوء ما فعله به أعداؤهم.

ترى: هل رأى الناس فى ذلك اليوم احمرار قرص الشمس الدامى، وسمعوا فى الكوفة وما حولها أنين الجبال، وعويل الأشجار، وفزع وحوش الفلاة، وبكاء الرمال، وقطرات دماء الحسين تتساقط على ذراتها؟!!

***

كان بعض نساء الحسين قد قتلن، كانت منهن زوجه لبنى.

لذلك أسرعت النساء إلى خيامهن، قد ملأهن الرعب، فلحق بهن ابن ذى الجوشن.

كانت زينب أخت الحسين بجوار على الصغير[١] ابن أخيها، تمرضه، وتعتنى به، فقد أصابته الحمى، وعجز عن القتال فى المعركة.. فما كاد يراه ابن ذى الجوشن، حتى استل سيفه، وكاد يهوى به على رقبته، إلا أن عمر بن سعد منعه، وقال له:

- أتقتل فتى لم يقاتلك؟!

وقالت زينب أخت الحسين:

- كيف تسول لك نفسك قتل مريض يعانى الحمى؟ أما كفاك ما فعلته بأبيه وإخوته؟!!

(١) هو على الأصغر ابن الحسين بن علىّ بن أبى طالب. عرف باسم زين العابدين. كان مولده فى أواخر حياة جده على. أمه غزالة إحدى بنات يزدجرد آخر ملوك الفرس. كن ثلاث بنات وقعن فى الأسر أثناء دخول المسلمين بلاد فارس فى عهد بن الخطاب. تزوج الحسين إحداهن. كان على هذا من أهل الحسين الذين صحبوا أباه إلى العراق، ومرض هناك فلم يشترك فى المعركة. هم بقتله ابن ذى الجوشن، وكذلك فعل ابن زياد، حين التقى بعلىّ، ولكن الله شاء أن يمنعه منهما، ليكون زين العابدين امتدادًا لرسول الله، أكرمه يزيد بن معاوية واحترمه وعظمه، وبعثه إلى بلده فى المدينة المنورة، وكان عبد الله بن مروان يستشيره.. عرف علىّ زين العابدين بشدة تقواه وورعه، وكان يكنى أبا الحسين، روى كثيرًا من الأحاديث عن أبيه وجده، كان يتكفل بكثير من الأسر، ينفق عليها، يأتيهم بحاجتهم فى الليل، عرف بعلمه وتفقهه فى الدين، وله حكم ووصايا. توفى سنة ٩٤هـ. (البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٠٧، طبقات ابن سعد جـ ٧ ص ٢٠٧).

ساق ابن ذى الجوشن من بقى من أهل الحسين إلى سيده ابن زياد، وكان منهم على الصغير، فما كاد ابن زياد يراه حتى دهش، لِمَ لم يقتل هذا الفتى مع من قتلوا؟! اتجه ابن زياد إلى علىّ، وقال له:

- من أنت؟

قال علىّ:

- أنا علىّ بن الحسين.

قال ابن زياد فى غلظة:

- أو لم يُقتل علىّ بن الحسين؟

قال علىّ:

- كان لى أخ يقال له علىّ أيضًا.. قُتل.

فقال ابن زياد:

- بل إن الله قتله.

قال علىّ:

- ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً﴾ [آل عمران: ١٤٥].

فهم ابن زياد أن يقتل عليًا، لكن الله منعه.

كان رجال ابن زياد يطوفون شوارع الكوفة برأس الحسين على نصل سيف. لعلهم أرادوا بهذا إهانة الحسين ابن بنت رسول الله، أو لعل هذا

كان تقـربًا إلى سيدهم ابن زياد، وكـأنما أرادوا أن يعلنوا لأنصار الحـسين الذين بايعوه من قبل عن نهايته، لـيكون ما حدث له عظة وعبرة لكل من تسول له نفسه الخروج على طاعة ابن زياد ويزيد بن معاوية.

حتى إذا انتهوا برأس الحسين إلى ابـن زياد، وكان ماتزال دماؤه تتقاطر منه، وضعوه أمامه فى طست، فجـعل ابن زياد ينكث فى ثنتيه بقضيب، ويقول:

- ما رأيت مثل هذا حسنًا!!

لا شك أن هذه الصـورة.. أعادت إلى الأذهان صورة نبـى الله يحيى عليـه السلام، حـين قتلـه هيرودس، ووضع رأسـه فى طبق من ذهب، تنفيذًا لمشيئة امرأتين فاسقتين هما هيروديا وابنتها سالومى[1]!!

كان شيخ عـجوز حاضرًا هذا الموقف، ورأى وسمع مـا يفعله ويقوله ابن زياد، فقال له:

---

(١) هيرودس: كان حاكمًا علي فلسطين من قبل الرومـان أثناء بعثة المسيح عيسى عليه السلام حوالى ٣٠م. وتحكى أحـداث هذه القصة أن هيرودس -مـخالفًا لشريعة اليهود- تزوج امـرأة أخيـه التى كان اسـمهـا هيروديا. وعـارض نبى الله يحـيى (يوحنا) هذا الزواج، فحقـدت هيروديا على يحيى، وتحينت الفـرصة للقضاء عليـه. كان لهيروديا ابنة اسـمها سالومى، وفى احتفال هيرودس بعيد له رقصت سـالومى ابنة أخيه رقصة، كانت هيأتها لها أمها أعجبت هيرودس وأصحابه، فطلبـوا من سالومى إعادة رقصتها، ولكن سالومى اشترطت على عـمها أن يحقق لهـا ما تطلبه، فلما انتـهت سالومى من إعادة رقصـتها، وبتحـريض من أمها هيروديا، طلبت سـالومى من عمهـا رأس النبى يحيى فى طبق من ذهب وحاول هيـرودس أن يثنى ابنة أخيه عن طلبـها، ولكنها أصرت عليـه، لذلك أمر هيرودس بذبح يحيى، ووضع رأسه فى طبق، وقدمـه هدية لسالومى وأمها. وقد عاقب الله هيرودس وسالومى وهيروديا على جريمتهم. (المؤلف. كتاب الشهيد نبى الله يحيى).

- يا ابن زياد. . ارفع هذا القضيب عن هاتين الثنتين، فوالله لقد رأيت شفتى رسول الله على هاتين الثنتين.

وانهمرت الدموع من عينى الشيخ، فرفع ابن زياد القضيب، وكاد يهوى به على رأس الشيخ، وقال له فى ثورة:

- أبكى الله عينيك، فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت، وذهب عقلك، لضربت عنقك.

ثم اتجه ابن زياد إلى نساء أهل الحسين، وقال لرجاله:

- من يوكل بقتل هؤلاء النسوة.

لكن زينب بنت علىّ صرخت، وتعلقت بابن زياد، وقالت له:

- يا ابن زياد. . حسبك ما فعلت بنا وبالحسين، أما يكفيك من دمائنا ما رويت به حقدك علينا، وبغضك لنا؟!!

فنظر ابن زياد إلى نساء الحسين، وقال لمن حوله:

- فجهزوهن للرحيل إلى يزيد، وغُلُّوا هذا الفتى علىّ بقيد من حديد إلى عنقه ويديه ورجليه.

وتعهد عمر بن سعد أن يوارى القتلى التراب، لتنتهى بذلك صفحة حياتهم.

ودفن الحسين فى الكوفة[1].

(١) فى بعض الروايات أن ابن زياد بعث برأس الحسين إلى يزيد بن معاوية. لكن أحداث القصة لا تؤكد هذا. (المؤلف).

سيقت نساء الحسين إلى يزيد بن معاوية فى دمشق، فدخلن عليه، على مرأى ومسمع من رجال الشام، وشعر يزيد بفخر انتصاره، فاتجه إلى علىّ بن الحسين، وقال له:

- يا علىّ.. أرأيت ما فعل أبوك.. قطع رحمى، وجهل حقى، ونازعنى سلطانى، فصنع الله به ما رأيت.

قال علىّ بن الحسين:

- بل تقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

كانت نساء الحسين فى أسوأ ثيابهن وهيئتهن، أحزنهن ما آل إليه أمرهن.

اتجهت زينب بنت علىّ إلى يزيد، وقالت له والدموع تفيض من عينيها-:

- يا يزيد.. بنات رسول الله سبايا؟!!

فقال يزيد:

- لهذا كنت أكره ما فعله أخوك.

ثم اتجه يزيد إلى من حوله، وقال لهم:

- أتدرون ما الذى دفع الحسين إلى ما فعل، وما الذى أوقعه فيما وقع فيه؟

- .....؟!!

- إنه يزعم أن أباه خير من أبى، وأمه فاطمة بنت رسول الله خير من أمى، وجده رسول الله خير من جدى، وأنه خير منى، ولعمرى، فأمه خير من أمى، وجده خير من جدى.

أحس يزيد بن معاوية أن ما حدث للحسين وأهله فيه كفاية الانتقام منه، فأمر رجاله، فأعدوا الرواحل والهوادج، وبعثوا بأهل الحسين ونسائه إلى المدينة مكرمين.

ثم كتب يزيد بن معاوية رسالة إلى عمرو بن سعيد أمير الحرمين، يخبره بمقتل الحسين، وقدوم أهله إلى المدينة.

فأمر عمرو مناديًا، ينادى فى المدينة، فلما سمعت نساء بنى هاشم النداء.. ارتفعت أصواتهن بالبكاء والعويل والنحيب، يعلن عن حزنهن على ما وقع للحسين وأهله.

وشاء الله أن يصيب الشر كل من اشترك فى قتل الحسين وأهله، أصيبوا بمرض، أو عاهة، ولقوا سوء المصير، فقد قتل ابن زياد، وقتل ابن ذى الجوشن، وقتل عمر بن سعيد، وبقى على زين العابدين، امتدادًا لنسل رسول الله..

لقد كانت قصة الحسين عظة وعبرة، وذكرى، بخيرها وشرها..

رحم الله الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ.

وأهل السنه والجماعة هم من اشد الناس حبا لاهل البيت عليهم الصلاة والسلام

****

مراجع الكتاب

١- مختصر صحيح مسلم، الحافظ زكى الدين عبد العظيم، دار الحديث بالقاهرة.

٢- مختصر صحيح البخارى، للزبيدى، دار المنار بالقاهرة.

٣- طبقات ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهرى، تحقيق د. على محمد عمر، الهيئة المصرية للكتاب.

٤- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقى، مكتبة الإيمان- المنصورة.

٥- الإصابة فى تمييز الصحابة، العسقلانى المعروف بابن حجر، مكتبة مصر بالقاهرة.

٦- أبو الشهداء الحسين بن على، عباس محمود العقاد، نهضة مصر القاهرة.

٧- خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، على محمد الصلابى، دار المنار بالقاهرة.

٨- سيرة شهداء الصحابة، فؤاد بن سراج الدين عبد الغفار، المكتبة التوفيقية.

٩- استشهاد الحسين، محمد بيومى، مكتبة الإيمان بالمنصورة.

١٠- موسوعة المنجد، سامى خورى، المطبعة الكاثوليكية بيروت.

فهرس الكتاب

الموضوع — الصفحة

مقدمة ٣

أحاديث نبوية عن الحسن والحسين ٥

أولاً: الحسن بن على (سيد شباب الجنة وريحانة رسول الله)

الباب الأول: الحسن فى عـهد رسول الله ٩

مولد الحسن ١١

الحسن مع رسول الله ١٥

وفاة الرسول ٢٣

الباب الثانى: الحسن فى عهـد أبى بكر وعمر ٢٥

الحسن فى عهد أبى بكر الصديق ٢٧

الحسن فى عهد عمر بن الخطاب ٢٩

الباب الثالث: الحسن فى عهد عـثمان بن عفان ٣٣

الباب الرابع: الحسن فى عهد خـلافة أبيه على ٣٩

مبايعة على خليـفة للمسلمين ٤١

الحسن فى معركة الجمل ٤٤

الحسن ودوره فى معركة صفين ٥١

الباب الخامس: الحسن خامس الخلفاء الراشدين ٦١

مبايعة الحسن خليفة للمسلمين ٦٣

الصراع بين الحسن ومعاوية ٦٤
الحسن يتنازل عن الخلافة ٦٨
الحسن بعد تنازله عن الخلافة ٦٩
الباب السادس: أخلاق الحسن وصفاته وعلمه ٧١
تقواه وورعه فى عبادته ٧٣
وكان الحسن حكيمًا ٧٥
وكان الحسن عالمًا ٧٨
حلمه والإحسان إلى من أساء إليه ٨٠
كرم الحسن وجوده ٨٣
الباب السابع: حياة الحسن فى أسرته ٨٧
زوجات الحسن وأولاده ٨٩
الباب الثامن: وفاة الحسن ٩٣

ثانيًا: الحسين بن على (سيد شباب الجنة وريحانة رسول الله)

الباب الأول: الحسين فى عهد رسول الله ١٠٣
مولد الحسين ١٠٥
مواقف للحسين مع رسول الله ١٠٨
الباب الثانى: مواقف للحسين مع الخلفاء الراشدين ١١٣
الباب الثالث: الحسين فى خلافة أبيه على ١١٩
الباب الرابع: الحسين فى خلافة أخيه الحسن ١٢٥
الباب الخامس: صفات الحسين وأخلاقه ١٣١
شجاعته ١٣٣

تقوى الحسين وورعه..... ١٣٤
وكان الحسين عالمًا..... ١٣٤
وفاؤه بالعهد..... ١٣٦
كرم الحسين..... ١٣٧
حسن أدبه وذوقه..... ١٣٨
الباب السادس: الصراع بين الحسين وبنى أمية..... ١٣٩
النزاع بن الحسين ومعاوية..... ١٤١
صراع الحسين مع يزيد بن معاوية..... ١٤٦
وفود أهل العراق لبيعة الحسين..... ١٤٧
الباب السابع: الحسين بن على يرسل رسولاً إلى العراق..... ١٤٩
مقتل مسلم بن عقيل..... ١٥٦
الباب الثامن: مسيرة الحسين إلى الكوفة..... ١٦٣
نصيحة الحسين..... ١٦٦
الحسين فى طريقه إلى الكوفة..... ١٧١
استشهاد الحسين..... ١٨٠
خريطة لأهم الأماكن التى وقعت أحداث الحسن والحسين..... ١٩٤
مراجع الكتاب..... ١٩٥
فهرس الكتاب..... ١٩٧
إصدارات دار التوزيع والنشر الإسلامية للمؤلف/ فتحى فوزى عبد المعطى..... ٢٠٠

مواقع مهمة

ننصح بها في بيان الحب الحقيقى
للحسن والحسين رضي الله عنهم

١ - شبكة الدفاع عن السنة: http://www.d-sunnah.net
٢ - موقع فيصل نور: http://www.fnoor.com
٣ - موقع البرهان: http://www.albrhan.com
٤ - موقع مهتدون: http://www.wylsh.com
٥ - حقيقة الخميني: http://www.khomainy.com
٦ - دليل حقائق الرافضة: http://dhr12.com
٧ - موقع البينة: http://www.albainah.net
٨ - موقع أنصار الحسين: http://www.ansar.org
٩ - موقع المنهج: http://www.almanhaj.com
١٠ - رابطة أهل السنة في إيران: http://www.isl.org.uk
١١ - موقع الإمام المهدي: http://www.almhdi.com